



الإمام ابن تيمية و جماعة التبليغ

مذيلة برسالتين للعلامة سعد الحصين -رحمه الله-

تقديم الشيخ / عبدالعزيز السدحان

إعداد فضيلة الشيخ

عبدالعزیز السید

مقدمة الطبعة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فهاهي الطبعة الثالثة أقدمها بعد نفاذ الطبعة الثانية - بحمد الله - وليس في هذه الطبعة مزيد على الطبعة السابقة إلا بيان كتبه فضيلة الشيخ سعد بن عبدالرحمن الحصين - حفظه الله -، وبيان آخر كتبه فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العريني - حفظه الله - ردًا على من ظنهمنا تراجعًا عن تضليلها لجماعة التبليغ لأنهما قد زارا الجماعة، فأحدهما وهو الشيخ سعد الحصين زارها في الكويت، وأما الآخر وهو الشيخ محمد العريني فزارها في موقعها في قطر. وما فتى التبليغيون إلا وأن استغلوا زيارتهما في تضليل أتباعهم وغيرهم بأن الشيخين تراجعًا عن موقفهما التضليلي للجماعة، والواقع الذي ماله من دافع أنها أكدا موقفهما من الجماعة كما سأنقله منها، وصار من وراء زيارتهما نفع وهو رد توهم يتوهمه بعضهم من أنه لعل الجماعة تحسنت في هذه السنوات المتأخرة !!

وهيئات فإن البدع لا تزداد مع الأيام إلا رسوخًا وتعمقًا عند أصحابها - عافاني الله وإياكم -

فياالله كيف قنع رجال أولوا أحلام وعقول بجماعة كجماعة التبليغ لا تدعو إلى إفراد الله بالعبادة وإنكار الشرك الذي منه صرف العبادات من دعاء ونذر لغير الله.

فياالله أما قرؤوا القرآن المخبر بجلاء أن دعوة الرسل كلها دعوة توحيد من إفراد العبادة لله وإنكار الشرك ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] فيقارنون دعوة هذه الجماعة بدعوة الأنبياء والرسل فيضربون بها عرض الحائط لمخالفتها لما بعث الله به رسله.

إلى متى لا يزال طائفة منتسبين لهذه الجماعة، وأخرى مدافعين وإن لم ينتسبوا إليها، أفلا يبصرون وبعين البصيرة ينظرون مخالفة هذه الجماعة لصراط الأنبياء والمرسلين. ألا يتهون ولداعي العلم يستجيبون.

أسأل الله أن يشرح صدورنا للعض على السنة بالنواجد.

وبعد هذا إليك بيان الشيخين - حفظهم الله تعالى -:

البيان الأول/ لفضيلة الشيخ سعد بن عبدالرحمن الحصين - حفظه الله -:

الإصرار على معصية التّحزب الدّيني

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ د. بكر أبو زيد عضو هيئة كبار العلماء في مؤلفه الفريد (حكم الانتفاء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية): (طريق الدعوة إلى الله تعالى قد التوى على كثير من الناس وصاروا لا ينظرون إليه إلا بمنظار ما يتمون إليه من الفرق والجماعات والأحزاب)، (وكما أن كلمة التوحيد هي أساس الملة، فإن كلمة الإسلام هي التي يتسمى بها المكلفون فيقال لهم: المسلمون) (فلا يسوغ للمسلم أن يتلقب بأنه قدرى أو مرجى أو خارجي أو أشعري أو صوفي أو إخواني أو تبليغي أو تحريري، لأنه لقب لم يرد به الشرع، ولما فيه من مخالفات لنصوص الشرع في المادة والرسم) والتعصب لشعار الحزب والولاء لقادته وأفراده وحدهم، والإصرار على التزام تعاليمه وما نتج عن ذلك من حمية الجاهلية باسم الدين والدعوة إليه هو واقع الفرق والجماعات المبتدعة التي فرّق الشيطان بها شمل الأمة.

وقد يسر الله لي أن أبلو هذا الخبر من واقع الفرق المنتمة للدعوة اليوم (وبخاصة جماعة التبليغ وجماعة الإخوان المسلمين) وبينت أمرها في (الدعوة إلى الله بين الوحي والفكر) وفي (الحكم بما أنزل الله فرض عين على كل مسلم) وفي (إنما اليقين في الوحي والفقهاء لا في الفكر الإسلامي)، وتقربت إلى الله بمجانبة هذه الفرق وبالتحذير منها.

أ/ وقد دعاني أحد الإخوة من طلاب كلية الشريعة إلى مرافقته في زيارة لبعض الأخوة من جماعة التبليغ في الكويت، وقبلت دعوته لعدة أسباب:

١. إعانة طالب العلم الشرعي على الخروج من حيرته بين ما عرفه في دراسته الشرعية من وجوب لزوم الجماعة ونبذ ما سواها من الفرق والجماعات والأحزاب وبين ما يحيط به من التفرق.

٢. رد زيارة قديمة تفضل بها عبد المانع معجب وراشد الحقان لا يمنع ردها التزامي بمنهاج النبوة والتزامها بمنهاج محمد إلياس.

٣. معرفة الجواب على سؤال ربما طاف بأفئدة الكثيرين ومنهم هذا الطالب: هل تغير منهاج التبليغيين العرب بعدما ظهر من فساد منهاج التبليغيين العجم.

٤. الأمل في تنفيذ فتوى الشيخ ابن باز - رحمه الله قبيل وفاته في الجماعة: (جماعة التبليغ ليس عندهم بصيرة في مسائل العقيدة فلا يجوز الخروج معهم إلا لمن لديه علم وبصيرة بالعقيدة الصحيحة التي عليها أهل السنة والجماعة حتى يرشدهم وينصحهم...) ج ٨ ص ٣٣١.

ب/ وبعد عام من التقاء بيني وبين أخي طالب العلم الشرعي على الزيارة يسر الله لنا القيام بها مع أخوين من الجماعة في آخر يومين من ذي الحجة عام ١٤٢٤ على النحو التالي:

١. أكدت لمرافقيّ في الزيارة عزمي على تجنب الاشتراك في نشاط الجماعة في المسجد أو خارجه عدا ما شرعه الله وسنة رسوله من الصلاة في المسجد وذكر الله وقراءة القرآن وهو ما بُنيَ المسجد له.

٢. تناولنا طعام الإفطار في مركز الجماعة في الكويت، وفي المقابل دعوت الله أن يهب الجماعة من الاهتمام بتقديم الطعام والفخر به.

٣. ولما كان الأخوان عبد المانع وراشد خارجين مع جماعة تبليغية في ضاحية من ضواحي الكويت انطلقنا في إثرهما للمسجد نفسه، وقضينا فيه يوماً وليلة قبل العودة من السفر.

٤. اختار مرافقيّ الخضوع لنظام الجماعة في اجتماعاتهم وزياراتهم وجولاتهم، واخترت الخضوع لما عرفته ويسّر الله لي العمل به من سنة النبي صلى الله عليه وسلم: العبادة في وقتها والراحة في وقتها.

٥. قبيل السفر إلى الكويت حضر سعودي متعصب لمنهاج التبليغ المبتدع لتذكيرنا بما نعرفه وإقناعنا بالالتزام بما ندين الله بمخالفته من أنه (لا يجوز لنا إنكار ما قد نراه أثناء زيارتنا مخالفاً لشرع الله) (وأحسبه يعني منهاج الدعوة، ولكنه لم يستثن المخالفة في الاعتقاد أو العبادة أو المعاملة) ولم أجد بُدّاً من أن أصدع بيان خطئه وخطأ المنهاج التبليغي الضال الذي أوصله إلى مصادمه وحي الله تعالى وأمر نبيّه صلى الله عليه وسلم لأمتة: " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان "

ج/ ظهر لي أن التبليغيين في الكويت مثل غيرهم في بلاد العرب والعجم ثابتون على منهاج محمد إلياس فيما عدى نقلهم الموعظة التبليغيّة الكبرى من وقتها بعد صلاة المغرب إلى ما بعد صلاة العشاء، وأراهم بعدوا بذلك عن سنة محمد صلى الله عليه وسلم بقدر بعدهم عن سنة محمد إلياس

تجاوز الله عنا وعنهم، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكره النوم قبل صلاة العشاء ويكره الحديث بعدها. فيما رواه البخاري في صحيحه، وكل حديثه شرع من شرع الله تعالى، ولم أجلس لسماع الموعدة اختياريًا كما اختار الله لعباده (ومن بعد صلاة العشاء) (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه).

ولكن تبليغيًا كرر بعد صلاة الفجر ما قاله أمير الجماعة بالأمس من أن (الأحكام الشرعية في القرآن لا تتجاوز ٥٪ وللدعوة ٩٥٪) وربما كان هذا ردًا لنصيحتي الجماعة وأمثالهم (بأن تخضع الدعوة للأحكام الشرعية)، ولو استمع الشيخ ابن باز رحمه الله لما قاله الأمير والمأمور فلربما أضاف إلى فتواه الأخيرة في جماعة التبليغ: (وليس عندهم بصيرة في القرآن) ولأضفتُ: (ولا في الحديث ولا في الدين عامة).

هدى الله الجميع لأقرب من هذا رشدًا، وثبتنا على دينه ومنهاج نبيه صلى الله عليه وسلم وأعادنا من مناهج الفرق والجماعات الأعجمية والعربية.

البيان الثاني / لفضيلة الشيخ محمد بن ناصر العريني:

قال في مقدمة الطبعة الخامسة لكتاب كشف الستار: وإن مما ينبغي الإشارة إليه عن هذه الجماعة مما شاهدته بنفسني حيث شاء الله أن أصحابهم في بلد مجاور لمدة خروجهم ثلاثة أيام، وكانوا من عدة جنسيات عربية أصحاب شهادات عليا ومكانة اجتماعية كبيرة، وخليط من الوسط والعوام:

١ / بحق لم أسمع شخصًا منهم تكلم عن التوحيد وحذر من الشرك أو أثنى على عالم من علماء أهل السنة والجماعة من السلف أو المعاصرين، أو دل على مؤلفاتهم، بل الذي سمعته ذكرهم لشيخهم " إلیاس " مؤسس الجماعة والترحم عليه وكتابهم " حياة الصحابة " لأميرهم الثاني محمد يوسف الكاندهلوي، فكيف بهؤلاء يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير؟

٢ / كلمة البيان عندهم على كل لسان ولا يتأخر أحدهم لإلقاء البيان كما يقولون بكلام خمت من هنا وهناك في الدعوة للخروج، وعن تنويب العصاة وأسلمة الكفار وشعر وكلام سجع وهو عامي لا يقرأ ولا يكتب كما قال هو عن نفسه، فكيف بالله عليكم أن يكون مثل هذا موجهاً للناس في أمور دينهم؟

٣ / معظم جلساتهم في المساجد وأماكن الأكل يقضونها في الحث على الزيارات في المنازل والمنتزهات ليلاً ونهاراً وسرد القصص وكأنها من ضرب الخيال بأسلوب مثير وبتمثيل متقن وتمايل ورفع صوت وخفضه وإصغاء عجيب من القوم وكأن على رؤوسهم الطير، وها نحن نلاحظ من ينتسبون إليهم ويلقون كلمات الوعظ في المساجد أو المجالس عندنا يتتهجون نفس الأسلوب لمداعبة الحضور وترغيبهم في الجلوس أمامهم.

٤ / لم يكن لي بد في نهاية المطاف إلا أن أبين لهم بعض ما لاحظته عليهم خلال بقائي معهم، ومن ذلك عدم اهتمامهم بأمر التوحيد وربط من يتوبونه من الفساق بالهند أو باكستان للسفر إلى هناك بدلاً من مكة والمدينة التي يجب أن تكون أول محطة للتائبين وغير ذلك، ولكنهم لا يبدون لك موافقة أو اعتراضاً لأن من منهجهم عدم المجادلة..

أسأل الله أن يجعلنا دعاة إلى الخير نهاية عن الشر، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.. إنه سميع مجيب

وصلى الله على نبينا محمد.

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فأبرز ما في هذا الكتاب ما يلي:

١. بيان حال هذه الجماعة وحال مؤسسها من التصوف والدعوة إلى البدعة، بل وإلى الشرك الأكبر كما في كتابهم المعتمد للعجم وهو كتاب: "تبليغي نصاب".

٢. جمع أقوال أحد عشر عالماً من كبار العلماء في هذه الجماعة، ومن هؤلاء العلماء من أفرد فيهم مصنفاً، ومنهم من صرح بمعرفته بها كالشيخ الألباني، والشيخ عبد الرزاق عفيفي، والشيخ حماد بن محمد الأنصاري.

٣. أن هذه الجماعة لا تهتم بدعوة التوحيد -توحيد الألوهية- والتحذير من الشرك الأكبر ووسائله، فكيف يطلب منها هذا وهي تدعو إلى الشرك الأكبر بتوزيعها وإقرارها لكتاب: "تبليغي نصاب" المتضمن للشرك الأكبر؟! بل كيف يراد منها أن تدعو إلى سد وسائل الشرك ومركزهم الرئيس في الهند والسودان به قبور؟!!

٤. أن هذه الجماعة: جماعة بدعة وضلالة، سواء كانوا داخل السعودية أو خارجها، كما نص على ذلك الشيخ عبد الرزاق عفيفي والشيخ حمود التويجري وغيرهما، وفي هذا الكتاب البرهنة والتدليل.

٥. أن للتبليغيين حيلًا كما أخبر بذلك من خبرهم وعرف حالهم، ومن حيلهم: أنهم إذا جاءوا إلى العلماء أظهروا لهم ما يرضيهم من الاهتمام بالسنة والائتمار بأوامر أهل العلم، وهذا يفسر ما أشكل على غير واحد سبب ثناء بعض أهل العلم عليهم؛ لذا ترى بعض العلماء

- كان مُحسن الظن بهم ثم تراجع، كما كان من سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - .
- فإذا تججج بعضهم ببناء أحد العلماء عليهم، فالجواب من أوجه:
- أ- أن هناك علماء آخرين قد حوا فيهم، والعبرة بالحجة والدليل، والحجة ظاهرة - كما في هذا الكتاب - في أن هذه الجماعة: جماعة بدعة وضلالة، بل دعاء شرك.
- ب- أن القادح والذام عنده زيادة علم فقولُه مقدم على غيره؛ لذا الذي نراه هو تراجع كثير من مادحيهم إلى القدح فيهم ولا عكس.
- ج- أن هذا يرجع إلى مكرهم ودهائهم؛ لأنهم إذا جاءوا عند العالم أظهروا ما يرضيه.
- ٦- أنه اغتر بهم خلق؛ لأن الله هدى على أيديهم أناسًا ضالين، وهذه من جهة النظرة الشرعية لا العاطفية خطأ لا يرضي الرب سبحانه ولا رسوله ج، فإن الغاية في الشريعة لا تبرر الوسيلة، وصلاح نية الرجل لا تدل على صلاح طريقته.
- قال ابن تيمية معلِّقًا على حديث جندب: "من قال في القرآن برأيه فأصاب؛ فقد أخطأ".
- أخرجه الترمذي: "فمن قال في القرآن برأيه، فقد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به، فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ؛ لأنه لم يأت الأمر من بابه كمن حكم بين الناس على جهل، فهو في النار، وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر". اهـ^(١).
- ٧- أن الرد على المخالف من أبرز سمات علماء السلف، وإن كنت في شك فانظر إلى كلام السلف الماضين ومؤلفات الإمام ابن تيمية تجد أكثرها ردودًا كـ "منهاج السنة" و "درء تعارض العقل والنقل" و "الاستقامة" و "الجواب الصحيح" و "الرد على البكري" و "نقض التأسيس" وهكذا.

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٧١).

وإن من أبرز مزايا الدعوة الإصلاحية لأئمة الدعوة النجدية: الرد على المخالف من أهل البدع، فله دَرُّهُم كم كشفوا من شبهة، وفندوا من بدعة، وحموا من جناب التوحيد، وكسروا من شوكة كل مبتدع عنيد.

من الدين كشف العيب عن كل كاذب وعن كل بدعي أتى بالمصائب
ولولا رجال مؤمنون لهدمت معاقل دين الله من كل جانب

وبعد هذا كله فإن الذي دعاني لكتابة هذا الرد أمور:

منها: الرحمة والشفقة على بعض المغرر بهم التابعين لهذه الجماعة جهلاً، وحماسة وغيره على الدين، الذين ضحوا بأوقاتهم وأعمارهم وأموالهم وطاقتهم بل وضيع طائفة منهم والديهم وأزواجهم وأبناءهم في سبيل التعاون مع هذه الجماعة المخطئة، فعّل بعضهم أن يستفيق ممّا هو فيه، ويدرك خطورة ما يسير عليه؛ فينتهي ويعود إلى الله تائباً.

ولعل من الحسن في خاتمة هذه المقدمة: أن أجيب على إشكال أو شبهة يرددها بعضهم وخلاصتها: أن أمة الإسلام في هذه الأيام تعيش ضعفاً وتغلباً للأعداء، فلماذا يفرق الصف بالرد على الطوائف المنتسبة للإسلام سواء كانت مخالفة في باب العقيدة أو في المنهاج والدعوة إلى الله أو في كليهما؟

والجواب من أوجه:

١ - أن ضعف المسلمين وتغلب الأعداء سببه ذنوب المسلمين أنفسهم كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

قال ابن جرير: "﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾. يعني: قلم لما أصابتكم مصيبتكم بأحد: ﴿أَنَّى هَذَا﴾.

من أي وجه هذا ومن أين أصابنا هذا الذي أصابنا ونحن مسلمون وهم مشركون، وفيما نبي الله يأتيه الوحي من السماء، وعدونا أهل كفر بالله وشرك؟ قل يا محمد للمؤمنين بك من أصحابك: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾. يقول: قل لهم: أصابكم هذا الذي أصابكم من عند أنفسكم بخلافكم أمري وترككم طاعتي لا من عند غيركم ولا من قبل أحد سواكم "اهـ.^(١) ونقله عن جماعة من السلف كعكرمة والحسن وابن جريج والسدي.

وقال أبو الدرداء: "إنما تقاتلون بأعمالكم"^(٢).

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي: "﴿قلتم أنى هذا﴾. أي: من أين أصابنا ما أصابنا وهزمتنا؟ قل: هو من عند أنفسكم حين تنازعتم وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون، فعودوا على أنفسكم باللوم، واحذروا من الأسباب المردية" اهـ.^(٣)

وقال ابن تيمية: "وحيث ظهر الكفار، فإنما ذاك لذنوب المسلمين التي أوجبت نقص إيمانهم، ثم إذا تابوا بتكميل إيمانهم، نصرهم الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]. وقال: ﴿أَوْ لِمَا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾. "اهـ.^(٤)

وقال: "وأما الغلبة: فإن الله تعالى قد يدل الكافرين على المؤمنين تارة، كما يدل المؤمنين على الكافرين، كما كان يكون لأصحاب النبي مع عدوهم، لكن العاقبة للمتقين فإن الله يقول: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

وإذا كان في المسلمين ضعف، وكان عدوهم؛ مستظهِراً عليهم؛ كان ذلك بسبب ذنوبهم

(١) جامع البيان في تفسير القرآن (٤/١٠٨).

(٢) علقه البخاري "كتاب الجهاد، باب عمل صالح قبل القتال".

(٣) التفسير (ص ١٥٦).

(٤) الجواب الصحيح (٦/٤٥٠).

وخطاياهم؛ إما لتفريطهم في أداء الواجبات باطنًا وظاهرًا، وإما لعدوانهم بتعدي الحدود باطنًا وظاهرًا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجُمُعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران: ١٥٥]. وقال تعالى: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠ - ٤١]. "اهـ.^(١)

وقال ابن القيم: "فلو رجع العبد إلى السبب والموجب لكان اشتغاله بدفعه أجدى عليه وأنفع له من خصومة من جرى على يديه، فإنه - وإن كان ظالمًا - فهو الذي سلطه على نفسه بظلمه. قال الله تعالى: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ فأخبر أن أذى عدوهم لهم وغلبتهم لهم إنما هو بسبب ظلمهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] اهـ.^(٢)

وقال: "وكذلك النصر والتأييد الكامل، إنما هو لأهل الإيمان الكامل، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]. وقال: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]. فمن نقص إيمانه نقص نصيبه من النصر والتأييد، ولهذا إذا أصيب العبد بمصيبة في نفسه أو ماله، أو بإدالة عدوه عليه، فإنما هي بذنوبه، إما بترك واجب، أو فعل محرم، وهو من نقص إيمانه، وبهذا يزول الإشكال الذي يورده كثير من الناس على قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾.

(١) مجموع الفتاوى (١١-٦٤٥)، وانظر: (٨/ ٢٣٩) (١٤/ ٤٢٤).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٢٤٠).

ويُجيب عنه كثير منهم بأنه لن يجعل لهم عليهم سبيلاً في الآخرة، ويُجيب آخرون بأنه لن يجعل لهم عليهم سبيلاً في الحجة.

والتحقيق: أنّها مثل هذه الآيات، وأن انتفاء السبيل عن أهل الإيمان الكامل، فإذا ضعف الإيمان صار لعدوهم عليهم من السبيل بحسب ما نقص من إيمانهم، فهم جعلوا لهم عليهم السبيل بما تركوا من طاعة الله تعالى.

فالمؤمن: عزيز، غالب، مؤيد، منصور، مكفي، مدفوع عنه بالذات أين كان، ولو اجتمع عليه من بأقطارها، إذا قام بحقيقة الإيمان وواجباته، ظاهراً وباطناً. وقد قال تعالى للمؤمنين: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]. وقال تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكُمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

فهذا الضمان إنّما هو بإيمانهم وأعمالهم التي هي جند من جنود الله، يحفظهم بها، ولا يفرداها عنهم ويقتطعها عنهم، كما يتر الكافرين والمنافقين أعمالهم؛ إذ كانت لغيره ولم تكن موافقة لأمره " اهـ. (١).

إذا تقرر أن سبب ضعف المسلمين ذنوبهم، وأن هذا هو الداء؛ فعلاجه ودواؤه أن يؤمروا بالرجوع إلى الله وترك ما هم عليه من المخالفات الشرعية، وإن الرد على المخالف بيان أخطائه حتى يتوب إلى الله ولا يتبعه غيره، صورة من صور دواء هذا الداء، وسبيل من سبل عز هذه الأمة وتمكينها.

٢- أن في هذا رافة بهؤلاء المتلبسين بهذه البدعة والتي قد تصل إلى الشرك؛ لأنهم لو تركوا ولم يُرد عليهم؛ ماتوا على هذه العقائد والمناهج الباطلة، وقد أجمع أهل السنة أن المعاصي الشبهاتية

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٨٢)

أعظم جرماً من الشهوانية^(١).

ولسلفنا الصالح كلمات قوية في ذم أهل البدع:

قال الإمام البرهباري: "وإذا رأيت الرجل من أهل السنة رديء الطريق والمذهب، فاسقاً فاجراً صاحب معاصٍ، ضالاً وهو على السنة؛ فاصحبه واجلس معه، فإنه ليس يضرك معصيته، وإذا رأيت الرجل مُجتهداً في العبادة متقشفاً مُحترقاً بالعبادة صاحب هوى، فلا تُجالسه، ولا تقعد معه، ولا تسمع كلامه، ولا تمش معه في طريق، فإني لا آمن أن تستحلي طريقته؛ فتهلك معه. ورأى يونس بن عبيد ابنه وقد خرج من عند صاحب هوى فقال: يا بني، من أين جئت؟ قال: من عند فلان، قال: يا بني، لأن أراك خرجت من بيت خنثى، أحب إليّ من أن أراك تخرج من بيت فلان وفلان، ولأن تلقى الله يا بني زانياً فاسقاً سارقاً خائناً، أحب إليّ من أن تلقاه بقول فلان وفلان.

ألا ترى أن يونس بن عبيد قد علم أن الخنثى لا يضل ابنه عن دينه، وأن صاحب البدعة يضلّه حتّى يكفر؟! "^(٢).

وقال الإمام الشافعي -رَحِمَهُ اللهُ-: "لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الهوى". اهـ.^(٣).

وقال الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللهُ-: "وقبور أهل السنة من أهل الكبائر روضة، وقبور أهل البدعة من الزهاد حفرة، فساق أهل السنة أولياء الله وزهاد أهل البدعة أعداء الله". اهـ.^(٤).

وقال أرطاة بن المنذر: "لأن يكون ابني فاسقاً من الفساق أحب إليّ من أن يكون صاحب

(١) حكاها ابن تيمية في الفتاوى (١٠٣/٢٠).

(٢) شرح السنة (ص ١١٤-١١٦).

(٣) أخرجه البيهقي في الاعتقاد (ص ١٥٨).

(٤) طبقات الحنابلة (١/١٨٤).

هوَى". اهـ.^(١).

وقال سعيد بن جبير: "لأن يصحب ابني فاسقًا شاطرًا سنياً أحب إليّ من أن يصحب عابداً

مبتدعاً". اهـ.^(٢).

وما أحسن ما ذكره ابن تيمية؛ إذ قال: "وقد أمر الشيخ أبو عمرو بن الصلاح بانتزاع مدرسة

معروفة من أبي الحسن الأمدي، وقال: أخذها منه أفضل من أخذ عكا". اهـ.^(٣).

فالرأى على أهل البدع أرف بهم من تاركهم على بدعهم من جهتين:

الأولى: أنه يتداركهم حتى لا يموتوا على هذه الذنوب الموبقة -البدع-.

الثانية: أنه بتحذيره من المبتدعة يقل اتباعهم أتباعهم فتقل آثامهم، فإن من دل على ضلالة

كان له من الوزر مثل أوزار من تبعه إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيء.

قال أبو صالح الفراء: "حكيت ليوسف بن أسباط عن وكيع شيئاً من أمر الفتن، فقال: ذاك

أستاذه- يعني: الحسن بن حي- فقلت ليوسف: أما تخاف أن تكون هذه غيبة؟ فقال: لم يا أحمق؟

أنا خير لهؤلاء من آبائهم وأمهاتهم، أنا أنهى الناس أن يعملوا بما أحدثوا فتتبعهم أوزارهم، ومن

أطراهم كان أضر عليهم" اهـ.^(٤).

بل وفي رد أهل السنة على هؤلاء المبتدعة رافة بعامة المسلمين حتى لا يضلوا ويتبعوهم على

الباطل.

٣- إن المسلمين إذا اجتمعوا ضد عدوهم الخارجي مع اختلافهم في العقائد والمناهج

وانتصروا؛ فإنه سيرجع بعضهم على بعض بالقتل والتشريد تسابقاً على السلطة والولاية، وما خبر

(١) الشرح والإبانة عن أصول الديانة (رقم ٨٧)

(٢) المرجع السابق (رقم ٨٩).

(٣) مجموع الفتاوى (١٨/٥٢-٥٣).

(٤) السير (٧/٣٦٤).

أفغانستان الأولى ضد الروس عنا ببعيد.

٤- إن الصحابة الكرام الذين هم خير من يُقتدى بهم قد انشغلوا بالرد على أهل البدع - بل وقتالهم - عن العدو الخارجي كما هو حال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مع الخوارج. وقد قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس: "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها". هذه أربعة أوجه مُختصرة في تنفيذ تلكم الشُّبه المتناقلة عند بعض من التبست عليه. إخواني القراء: هذه هي الطبعة الثانية وبها تعديلات وإضافات مهمة على الطبعة الأولى التي نفدت - أو قاربت - بعد أن طبع منها - والحمد لله - خمس وعشرون ألف نسخة. وألفت النظر إلى أن الشيخ عبد العزيز السدحان - حفظه الله - أكد مقدمته، وعدل فيها تعديلاً قليلاً، جزاه الله خيراً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد العزيز بن ريس الريس

٣ / ٣ / ١٤٢٤ هـ.

تقديم فضيلة الشيخ / عبد العزيز بن محمد السدحان

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن دعوة الناس إلى سبيل الخير وبذل النصح والتوجيه والتعليم لهم من أعظم الوظائف شرفاً وأعلاها قدرًا، فتلك هي وظيفة الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام-.

ولشرف تلك الوظيفة وسُمو منزلتها: سلك طريقها عدد غير قليل من مريدي الإصلاح؛ طمعاً في الأجر وحصول النفع، إلا أنه مما ينبغي أن يُعلم أن رغبة الإنسان وحرصه على دعوة الناس للخير لا تشفع له أن يُقدم على ذلك مطلقاً؛ ذلك لأن دعوة الناس إلى الخير قربة يتقرب بها العبد إلى ربه، والقربة إذا لم تؤد على وجهها المشروع ضرت الداعي والمدعويين، ناهيك عن تلبس الداعي بالإثم لعمله بلا علم.

وعوداً على بدء، يقال: إن دعاة الإصلاح كثير، إلا أن الميزان الذي يتميز به الصواب من الخطأ هو عرض أساليب الإصلاح على نصوص الكتاب والسنة.

وشواهد ذلك كثيرة: منها: قوله ﷺ: "تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله

وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض". أخرج الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وما أحسن قول القائل:

والشرع ميزان الأمور كلها . . . وشاهد لفرعها وأصلها

وعليه: فعزة المسلمين أو ذلتهم خاضعة لمعيار تمسكهم بتعاليم دينهم؛ ولذا يرى الناظر- في بعض مجتمعات المسلمين- ما يندى له الجبين ويتفطر له القلب.

فهناك البعد عن التمسك بالنصوص الشرعية مما ترتب من جرائه: غياب كثير من معالم السنن وانتشار البدع وتفشي رائحتها النتنة، فكثير في بلاد المسلمين تلك المساجد التي تحتضن بين جنباتها أضرحة يتحرى حولها ومن أصحابها إجابة الدعاء، بل يجتهد بعضهم في شد الرحال إلى تلك الأضرحة، فانتشرت البدع في تلك المجتمعات وكان لها سوق رائجة في عقائد الناس وعباداتهم وسلوكياتهم، حتى إن الزائر لبعض بلاد المسلمين يجهد في البحث عن مسجد يخلو من بدعة فلا يكاد يجد مطلبه.

ومن أعظم أسباب ذلك: التهاون بأمر مخالفة السنن مما أدى إلى ظهور البدع وفسو أمرها حتى أصبحت السنن غريبة مقابل اشتهاار البدع فشب عليها الصغير وشاب عليها الكبير. ذكر شيخ الإسلام- رحمه الله تعالى- أن فعل القليل من البدع يؤدي إلى فعل الكثير ثم يشتهر أمره، ثم قال- رحمه الله تعالى-: " ثم إذا اشتهر الشيء دخل فيه عوام الناس وتناسوا أصله حتى يصير عادة للناس"^(١).

وقال في موضع آخر معدداً مفاصد البدع: " ومنها: أن القلوب تستعذبها وتستغني بها عن كثير من السنن حتى تجد كثيراً من العامة يُحافظ عليها ما لا يُحافظ على التراويح والصلوات الخمس. ومنها: أن الخاصة والعامة تنقص بسببها^(٢) عنايتهم بالفرائض والسنن وتفتر رغبتهم فيها، فتجد الرجل يجتهد فيها ويخلص وينيب ويفعل فيها ما لا يفعله في الفرائض والسنن، حتى كأنه يفعل هذه البدعة عبادة، ويفعل الفرائض والسنن عادة ووظيفة..."^(٣).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٢٠٩).

(٢) أي: بسبب البدع.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٢٩١، ٢٩٢).

ومن لازم القول في هذا المقام أن يقال: بأنه يقع جزء كبير من المسؤولية على دعاة الإصلاح في تلك البلاد؛ ذلك لأن طريقة دعوتهم داخلها خلل كبير في الأفعال والأقوال.

فعلى سبيل المثال: غلبت بعض المناهج جانب التعبد والرقائق، وكان ذلك أبرز ما في دعوتهم، بل كان جل اهتمامهم منصباً على تربية النفوس؛ وذلك بالإكثار من التعبد والتزهد والضرب في الأرض؛ فترتب من جراء ذلك: غض الطرف عن انحرافات عقدية وأمور بدعية، بل حتى ذلك التزهد والتعبد داخله خلل وانحراف لكونه مفتقراً لكثير من علوم الشريعة.

ومنهج آخر غلب أصحابه الاهتمام بدراسة واقع الأمة وتشخيص الخطر المحدق بها - وهذا لا شك مطلب شرعي - إلا أن المآخذ على أولئك هو تغليب هذا الجانب على حساب جوانب أخرى أهم منه.

يضاف إلى ذلك: أنهم عالجوا بعض قضايا الأمة بعواطف جياشة عارية من العلم الشرعي، مما ترتب عليه إضاعة الجهود، فضلاً عن أن تكون تلك العواطف سبباً للتلبس بالآثام بسبب الإعراض عن النصوص الشرعية.

ومناهج أخرى سعت جاهدة إلى تكثير سوادها دون تمحيص ونظر دقيق، فترتب من جراء ذلك غض الطرف عن انحرافات عقدية وأمور بدعية، ظناً منهم أن إثارة تلك الأمور والنكير على أصحابها قد يسبب الفرقة.

ومناهج أخرى حكّم أصحابها عقولهم في معالجة كثير من الأمور وجانبوا دلالات النصوص الشرعية؛ فكان من نتائج ذلك ما لا تُحمد عقباه من خطورة الإعراض عن النص، ناهيك عن الآثار السلبية المترتبة على ذلك المنهج.

قال الإمام السجزي - رحمه الله تعالى -: "ولا خلاف بين المسلمين في أن كتاب الله لا يجوز

رده بالعقل، بل العقل دل على وجوب قبوله والائتمام به، وكذلك قول الرسول ﷺ إذا ثبت عنه لا

يجوز رده، وإن الواجب رد كل ما خالفها أو أحدهما"^(١).

وقال الإمام البرهاري - رحمه الله تعالى - : "واعلم - رحمك الله - أن الدين إنما جاء من قبل

الله - تبارك وتعالى - لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم، وعلمه عند الله وعند رسوله ﷺ^(٢).

وبكل حال: فأصحاب هذه المناهج المخالفة لطريق سلف الأمة يصدق عليها قول القائل:

"لا للإسلام نصر ولا لأعدائه كسروا"، بل زادوا المشقة والعناء على أهل المنهج السليم المقتضي أثر سلف الأمة - عليهم رحمة الله -.

شاهد المقال: أن على من أراد الإصلاح أن يجعل نصب عينيه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ

عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. [يوسف: ١٠٨]. فكل من دعا على

غير هدي النبي ﷺ؛ فهو على غير بصيرة ولو كثر سواده وطار صيته.

والتأمل في ختام الآية السابقة يجد أنها جاءت نتيجة لمقدمة، فمن دعا إلى الله على بصيرة نجا

من الوقوع في الضلال وأعظمه الشرك، ومن دعا إلى الله على غير بصيرة فهو معرض للوقوع في

الضلال وأعظمه الشرك، ويزداد المصائب إذا ادعى أولئك الداعون على غير بصيرة أنهم على منهج

سليم.

قال الإمام السجزي - رحمه الله تعالى - : "... وإذا كان الأمر كذلك فكل مُدَّعٍ للسنة يجب أن

يُطالب بالنقل الصحيح بما يقوله، فإن أتى بذلك علم صدقه وقبل قوله، وإن لم يتمكن من نقل ما

يقوله عن السلف علم أنه مُحدث زائع، وأنه لا يستحق أن يُصغى إليه أو يُناظر في قوله... "^(٣).

فعلى من تولى أمر دعوة الناس ونصبه الناس داعية لهم: أن يتقي الله تعالى في نفسه، وأن تكون

دعوته على علم شرعي؛ ليعلم أنه في مقام القدوة، فإن أحسن؛ أحسن من ظن به خيرًا، وإن أساء؛

(١) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص ٩٣).

(٢) شرح السنة للبرهاري (ص ٦٦، ٦٧).

(٣) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص ١٠٠).

أساء من ظن به خيراً، ويتحمل تبعاتٍهم لإقدامه على العمل بلا علم.

قال عمر - رضي الله تعالى عنه -: " ... فمن سوده قومه على فقه؛ كان حياة له ولهم، ومن

سوده قومه على غير فقه؛ كان هلاكاً له ولهم " (١).

ختامًا: بين يديك - أخي القارئ- هذه الرسالة المتضمنة لفتوى مسددة مؤصلة لشيخ

الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى- كانت جوابًا لسؤال عن صحة طريقة دعوية سلكها بعض

مريدي الخير، فأفاض شيخ الإسلام في الإجابة ودلل ومثّل وقعدّ وأصل؛ فرحمه الله وأجزل له

المثوبة.

ولقد قام الشيخ عبد العزيز الريس - أثابه الله تعالى- بنقل تلك الفتيا مذيلاً لها بتعليقات

تضمنت نقولات وفوائد كثيرة.

وجعل الشيخ عبد العزيز - أثابه الله تعالى- رسالته هذه في الكلام والإيضاح لفرقة دعوية

عُرفت واشتهرت باسم: "التبليغ"، أخذ أصحاب تلك الدعوة على عوائقهم السعي في

الإصلاح، لكنهم وقعوا في أمور مخدورة شرعاً في أصل دعوتهم، فضلاً عما اشتهر عن بعض قادتها

من الانحراف العقدي، يؤكد ذلك ما جاء في بعض كتبهم - وقد نقل الباحث شيئاً من ذلك في

مقدمة الرسالة- وكذا ما شاهده بعض الثقات ممن صحبهم حيناً من الدهر.

ولأجل ذا وذاك نبه على أخطائهم وحذّر منها غير واحد من العلماء الكبار المشهود لهم

بالرسوخ في العلم مع سلامة المنهج وصحة المعتقد، وكذا بعض طلبة العلم، بل قد أفردت فيهم

مصنفات مستقلة كما سترى كل ذلك فيما ذكره الباحث من النقولات الموثقة.

فشكر الله للشيخ عبد العزيز الريس حرصه وغيرته على السنة، فبيان الحق والتحذير من

الخطأ من الجهاد في سبيل الله، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ

(١) أخرجه الدارمي (ص ٦٩ برقم ٢٥٧).

نقل القرطبي - رحمه الله تعالى - في تفسيره عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أنه قال:
"والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا"^(١).

ونقل عن أبي سليمان الداراني أنه قال: "ليس الجهاد في الآية قتال الكفار فقط، بل هو نصر الدين والرد على المبطلين وقمع الظالمين، وعظمه: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنه: مجاهدة النفوس في طاعة الله وهو الجهاد الأكبر"^(٢).

وقد أحسن الباحث في اختياره لهذه الفتيا لشيخ الإسلام، فهي - بحق - نعم الفتيا، وجديرة بأن تسمى: "الفتوى المنهجية للدعوة الشرعية"، وقد علقت على كلام الباحث بعض التعليقات التوضيحية، والله أعلم.

وختامًا: فَمَا يَنْبَغِي التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ: أَنْ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى تِلْكَ الْجَمَاعَةِ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَفْضَلِ الْأَخْيَارِ مِنْ أَهْلِ الْمَعْتَقِدِ السَّلِيمِ احْتَسَبُوا أَوْقَاتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَسَعَوْا جَاهِدِينَ فِي مَنَاصِحَةِ بَعْضِ الْمَتَلَبِّسِينَ بِالْمَعَاصِي وَحَبَبُوا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرَكَ الْمُنْكَرَاتِ؛ فَتَأَثَّرَ بِهِمْ عَدَدٌ غَيْرٌ قَلِيلٍ مِنَ النَّاسِ؛ فَجَزَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى خَيْرًا عَلَى جُهُودِهِمْ وَزَادَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ.

ولأولئك وأمثالهم يقال: سيروا على بركة الله تعالى في دعوة الناس إلى المعتقد السليم والمنهج السليم دون انتساب إلى هذه الجماعة، واحتسبوا أجركم وأبشروا وأملوا بالخير من ربكم.
- عليكم بالاهتمام بأمر التوحيد وتذكير المدعوين به، وبخاصة في تلك المجتمعات التي أصبح أمر التوحيد فيها غريبًا، بينوا لهم بالأسلوب الحسن.

- عليكم بالرجوع إلى العلماء الراسخين المعروفين بصحة المعتقد وسلامة المنهج؛ فالزموا

(١) تفسير القرطبي (١٣/٣٥٦).

(٢) إغاثة اللهفان (١/١٤٢، ١٤٣).

مُجَالَسَتِهِمْ وَزِيَارَتِهِمْ وَسُؤَالِهِمْ عَمَّا يَشْكُلُ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾
[الأنبياء: ٧].

- إذا تبين وعُرف عن قادة تلك الجماعة وأصول دعوتها ما ذكر من الانحرافات العقديّة؛ فالواجب عليكم مناصحتهم مكاتبة أو مشافهة وتذكيرهم بالحق، فإن استجابوا ورجعوا عما كانوا عليه فيها ونعمت، وإلا فالواجب: البراءة منهم وعدم تكثير سوادهم.

- من علم من نفسه القدرة علماً وعملاً على نصحتهم؛ فليؤد النصح والبيان، ومن لم يعلم ذلك من نفسه؛ فليحذر من التلبس بالإثم وليترك ما يضعف عنه كما نصح بذلك غير واحد من أهل العلم، وعليه أن يدعو إلى الخير دون انتساب إليهم، فأبواب الخير مشرعة لا تُعد ولا تُحصى. الله أسأل أن يوفق دعاة الهدى إلى كل خير، وأن يهدي ضال المسلمين، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح؛ إنه تعالى سميع مجيب.

عبد العزيز بن محمد السدحان

٢٢ / ٣ / ١٤٢١ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فإن الأمر إذا اجتمع فيه الحق والباطل، والخير والشر؛ انطلى على كثير من الناس حقيقة حكمه، وصار له مؤيدون وأنصار، فكلما ذكر لهم الشر والباطل الغالبان عارضوه بما فيه من حق وصواب، وهذا هو شأن كل بدعة عليها طائفة من الناس.

قال ابن تيمية: "ومن صبر من أهل الأهواء على قوله؛ فذلك لما فيه من الحق، إذ لا بد في كل بدعة -عليها طائفة كبيرة- من الحق الذي جاء به الرسول ﷺ ويوافق عليه أهل السنة والحديث: ما يوجب قبولها؛ إذ الباطل المحض لا يُقبل بحال" اهـ^(١).

وإن مما جمعت بين الحق والباطل والخير والشر: جماعة التبليغ المعروفة، الناشئة على يد مؤسسها محمد إلياس الكاندهلوي في منتصف القرن الرابع عشر في الهند^(٢)، وهذه الجماعة قد اشتهرت بالدعوة والتضحية، لكن للأسف على غير هدي الرسول ﷺ وأصحابه -كما سيأتي بيانه إن شاء الله-.

وقبل البيان والتدليل أشير إلى أمر مهم غاية الأهمية وهو: أن الكلام على جماعة معينة يعود إلى الكلام على منهجها لا إلى أفرادها؛ لذا لا يصح لأحد أن يعيب دين الإسلام؛ لأن من المتسبين

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٥١)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل (٢/ ١٠٤)، والاستقامة (١/ ٤٥٥).

(٢) راجع كتاب: الصفات الستة عند جماعة التبليغ - بحث مقدم لنيل الشهادة "الليسانس" - وكتاب: "السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم" لمحمد تقي الدين الهلالي الحسيني، و"القول البليغ في جماعة التبليغ" (ص ٧)، وحقيقة الدعوة إلى الله تعالى وما اختصت به جزيرة العرب (ص ٧٥)، وكتاب: "جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية: عقائدها، تعريفها" (ص ١٩)، وهو كتاب ضخم بلغت عدد صحائفه أربعمئة وخمسين ورقة، ومؤلفه الأستاذ أبو أسامة سيد طالب الرحمن، قرظ له الشيخ العلامة صالح الفوزان -حفظه الله- فقال في ثانيا تقريره: فوجدته كتاباً وافياً بإعطاء المعلومات عن هذه الجماعة. اهـ. وكتاب: "المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال" للشيخ أحمد النجمي.

إليه أناساً مفرطين غير قائمين به ونحو ذلك، ويثني على دين النصارى؛ لأن من المنتسبين إليه - في زعمه - أناساً جادين قائمين به، هذا أبداً لا يصح بل النقد والتقويم يكون للمناهج لا للأفراد؛ إذ الأفراد يتغيرون من زمن لآخر ثم قد يكون حسنهم أو قبحهم راجعاً لأمر خارجي لا علاقة له بالمناهج^(١)؛ لذا أرجو التنبه لهذا الأمر المهم واستحضاره عند النقد والكلام على المناهج الدعوية وغيرها، فإنك كثيراً ما إذا انتقدت جماعة التبليغ بأنها لا تهتم بالعلم؛ عارضك أحدهم بأن معنا فلاناً وفلاناً، وهو طالب علم وهكذا... والمجيب بمثل هذا لم يفرق بين منهاج الجماعة وأفرادها الملتحقين بها.

البيان والتدليل على أن جماعة التبليغ في الدعوة على طريقة مبتدعة مخالفة لهدي الرسول ﷺ

وأصحابه الكرام:

١ - هذه الجماعة لا تهتم بالدعوة إلى توحيد الإلهية - العبادات - وهي الدعوة التي من أجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وخلق الثقلان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وهي وإن ذكرت من أصولها الكلمة الطيبة: "لا إله إلا الله ومحمد رسول الله" إلا أنها من أبعاد الناس عنها؛ وذلك أن التوحيد الذي يعتنون به: هو توحيد الربوبية الذي أقر به كفار قريش ولم يدخلهم في الإسلام دون توحيد الألوهية الذي من أجله أرسلت الرسل^(٢).

(١) أفاده محدث العصر محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - في بعض مسجلاته الصوتية عن جماعة التبليغ، راجع شريطاً برقم (٥٤٠).

(٢) انظر كتاب: الصفات الستة عند جماعة التبليغ (ص ٢٢، ٢٨)، القول البليغ (ص ٨، ٢٠٥)، كتاب: جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية (ص ٢٢)، وكتاب: وقفات مع جماعة التبليغ (ص ١٧).

والدليل على أن هذه الجماعة لا تعني بتوحيد الإلهية - العبادات - ما يلي:

أقتصر على ثلاثة وهي:

- أ- أن في مركزهم الرئيس في الهند والسودان قبورًا، وكذا بجوار مركزهم الرئيس في رائي وند بالباكستان؛ ذكر هذا من خبرهم وعایشهم ثمان سنوات؛ الشيخ المعروف سعد الحصين^(١).
- ب- أن أكابر المنتسبين إليها على عقائد شركية وبدعية، ومع ذلك ما زالوا من أكابرهم؛ فهذا يدل دلالة واضحة على أن الجماعة لا تبالي بتوحيد العبادات.

قال الأستاذ سيف الرحمن بن أحمد الدهلوي: إن أكابر أهل التبليغ يرابطون على القبور، ويتظرون الكشف والكرامات والفيوض الروحية من أهل القبور، ويقرون بمسألة حياة النبي ﷺ وحياة الأولياء حياة دنيوية لا برزخية مثلما يقر القبوريون بنفس المعنى. اهـ.^(٢)

وقد نقل الشيخ حمود التويجري - رحمه الله - شهادات سبعة أشخاص مع تواقيعهم أن هذه الجماعة عندها كفريات وبدع^(٣).

ج- أنك إذا جالست أفراد هذه الجماعة رأيت تفسيرهم للكلمة الطيبة بما يتعلق بتوحيد الربوبية دون الألوهية؛ فجرب تجرد - حماك الله -.

وإن كون هذه الجماعة لا تهتم بالتوحيد كافٍ في إسقاطهم عند الموحدين السائرين على

(١) كتاب: حقيقة الدعوة (ص ٧٧-٧٨)، وانظر: القول البليغ (ص ١٢)، وانظر: كتاب الصفات الستة (ص ٨١)، علمًا أن الشيخ سعدًا الحصين ممن زكاه أهل العلم؛ قال فيه الشيخ صالح الفوزان: فضيلة أخي العلامة الشيخ سعد بن عبد الرحمن الحصين حفظه الله وزاده علمًا نافعًا وعملاً صالحًا؛ فقد كشف زيف هذه الجماعات عن علم بها وخبرة بأهدافها ومقاصدها، وذلك في كتابه القيم الذي بين أيدينا بعنوان: "حقيقة الدعوة إلى الله تعالى وما اختصت به جزيرة العرب وتقويم مناهج الدعوات الإسلامية الوافدة إليها" ١. من مقدمة الكتاب (ص ٤).

(٢) (ص ٤٧) كتاب نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية، بواسطة القول البليغ (ص ١٢)، وانظر: القول البليغ (ص ١٢-١٤).

(٣) القول البليغ (ص ١٨٧-١٩٠)، وكذلك نقل أبو أسامة صاحب كتاب: جماعة التبليغ شهادات جماعة، راجعها (ص ٤٤٥-٤٥٢).

طريقة النبيين والمرسلين؛ ذلك لأن دعوة الأنبياء والمرسلين هي الدعوة إلى إفراد الله سبحانه بالعبادة دون أحد سواه، فمن خالفهم في الدعوة فليس من أتباعهم الناجين.

د- أن هذه الجماعة أعدت لأتباعها من العجم كتاب: "تبليغي نصاب"، وفيه - كما سيأتي - الدعوة الصريحة إلى طلب الشفاعة من رسول الله ج، وهذا كما يقرر علماءنا شرك أكبر مُحبط للعمل ومُخرج من الملة، فبإعدادهم لهذا الكتاب والحث عليه، بل وتوزيعه، تكون جماعة التبليغ قد أدينت بآئها ليست مهملة لدعوة التوحيد فحسب، بل هي داعية شرك، نسأل الله السلامة.

٢- أن هذه الجماعة قد انغمست في البدع المختلفة؛ فهم يبايعون العجم ومن يثقون به من العرب على الطرق الصوفية المبتدعة الأربعة: الجشتية، والنقشبندية، والقادرية، والسهروردية^(١). وكذلك كتابهم المعد لأتباعهم من العجم: "تبليغي نصاب" فيه من البدع الكثيرة المهلكة منها:

أ- الحث على السفر إلى المدينة النبوية بقصد زيارة قبر الرسول ﷺ بعد الحج؛ بدليل: "من حج فلم يزرني فقد جفان"، وهذا الفعل بدعة، والحديث موضوع.

ب- الحث على التوجه لقبره ﷺ بالدعاء الآتي: "يا رسول الله، أسألك الشفاعة".

ج- صفة السلام على العمرين - أبي بكر وعمر -: "جئناكما نتوسل بكما إلى رسول الله ﷺ ليشفع لنا ويدعو لنا ربنا".

د- فيه أن النبي ﷺ أخرج يده من قبره ليتمكن الشيخ أحمد الرفاعي - في القرن السادس الهجري - من تقبيلها على مرأى من تسعين ألف مسلم. فيا سبحان الله! إلى هذه الدرجة التلاعب بعقول الناس والأصحاب، أليس من بينهم رجل رشيد؟!

(١) ذكر هذا الشيخ سعد الحصين في رسالته المتضمنة نصيحة لرئيس جماعة التبليغ حالياً. انظرها مذيلة في آخر الكتاب، وانظر: القول البليغ (ص ٧-٩، ١٣٧، ٢٠٩).

هـ- فيه أن الكعبة تذهب إلى بعض الصالحين في أماكنهم^(١)، فَبَحَثَّ الجماعة على كتاب: "تبليغي نصاب" تكون جماعة التبليغ داعية للبدع الموبقة.

٣- لا يهتم التبليغيون بالعلم، وليس عندهم في مناهجهم العلم بمعناه الحق - معرفة أحكام الشرع بأدلته - والدراسة على العلماء، فهم مفرطون في شرط العبادة الثاني، وهو المتابعة لرسول الله ﷺ^(٢).

فيا سبحان الله! إذا لم يكن عندهم علم في أي شيء يدعون؟! وهل فاقد الشيء يعطيه؟! ودعوة الأنبياء دعوة على علم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي...﴾ [يوسف: ١٠٨]. فلأجل عدم اهتمامهم بالعلم؛ وقعوا في بدع كثيرة في باب العبادات - زيادة على ما سبق ذكره من البدع -^(٣).

٤- من أصول هذه الجماعة: الخروج؛ وهو السفر للدعوة إلى الله، وهذا الأصل محمود مطلوب موجود عند رسول الله ﷺ؛ إذ أرسل جماعات من الصحابة للدعوة إلى الله، فأرسل أبا موسى وعلياً ومعاذاً وأبا هريرة وغيرهم - رضي الله عنهم أجمعين - لكن على غير طريقة التبليغيين، فإن رسول الله ﷺ لم يكن يرسل إلا العلماء، فلم يرسل غيرهم للدعوة إلى الله مع وجود المقتضي والحاجة في زمانه وانتفاء المانع، وما كانت هذه صورته فحكمه بدعة في الشريعة.

فنخلص من هذا: أن إرسال الجهال للدعوة إلى الله من جملة البدع، ولا يصح لأحد أن يستدل بما رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: "بلغوا عني ولو آية". فيقول: هذا يشمل كل من عرف ولو آية واحدة في حالة سفر أو حضر؛ إذ يقال: خير من

(١) راجع كتاب: حقيقة الدعوة إلى الله تعالى (ص ٨٢)، وكتاب: الصفات الستة (ص ٢٥، ٤٠، ٥١-٥٩)، وكتاب: وقفات مع جماعة التبليغ (ص ٦٥)، والقول البليغ (ص ٢٠٠).

(٢) انظر: كتاب جماعة التبليغ (ص ٤٨)، وقفات مع جماعة التبليغ (ص ٢٢، ٢٩، ١٩٩).

(٣) راجع كتاب الصفات الستة (ص ٣١-٣٥، ٦٠-٦٣).

فهم هذا الكلام وعمل به من تلفظ به ﷺ، ومع ذلك لم يفهم أنه شامل لما ذكرت؛ إذ لو كان فاهماً ما ذكرت لأرسل حتى غير العلماء من الصحابة للدعوة، فلما لم يفعل مع وجود الحاجة وانتفاء المانع؛ دل على أنه غير داخل في مطلق الحديث^(١)، ثم إن الجهال من التبليغيين وغيرهم إذا ذهبوا للدعوة لا يقتصرون على تلاوة آية أو ذكر حديث.

تنبيه: قد اعترض بعضهم على هذا بأن ضمام بن ثعلبة وغيره من الوفود الذين أسلموا بين يدي رسول الله ﷺ ذهبوا إلى قومهم دعاء مع كونهم لم يتلقوا من رسول الله ﷺ كثير علم، وما ذكره هذا المخالف لا يعارض ما سبق تقريره بل يؤكد؛ وذلك أن رسول الله لم يرسل هؤلاء إلى قومهم للدعوة، ولم يكن المقصود من سفرهم الدعوة إلى دين الإسلام، بل هم راجعون إلى بلادهم وقومهم، والبحث جارٍ فيمن قصد من السفر الدعوة إلى الله لا أن يكون قصده أمراً آخر ثم تعرض له الدعوة تبعاً، والله الموفق.

فائدة: من المهم -أيها القارئ- أن تُحيط علماً ومعرفة بمؤسس هذه الجماعة: هو محمد إلياس بن محمد بن إسماعيل الكاندهلوي الديوبندي الحنفي مذهباً، الأشعري الماتريدي عقيدة، الصوفي طريقة، أخذ البيعة الصوفية على يد الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ثم جددتها بعد موت الشيخ رشيد على يد الشيخ أحمد السهارنفوري الذي أجازها في مبايعة غيره على النهج الصوفي المعروف. وقد كان محمد إلياس يجلس في الخلوة عند قبر الشيخ نور محمد البدايوني، وفي المراقبة الجشتية عند قبر قدوس الكنكوهي الذي كانت تسيطر عليه فكرة وحدة الوجود. اهـ.^(٢)

وقال الشيخ سيف الرحمن عن محمد إلياس: "هو الحنفي مذهباً والصوفي مشرباً، قليل البضاعة العلمية غير شهير فيها، لكن كان قوي الحماس للدعوة إلى الدين الإسلامي -بل إلى الدين

(١) أفاده الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في بعض مسجلاته الصوتية عن هذه الجماعة كشرط: "القول البليغ في ذم جماعة التبليغ"، إصدار تسجيلات الإبانة الصوتية.
(٢) كتاب: حقيقة الدعوة إلى الله تعالى (ص ٧٥).

الصوفي - وإلى المسلك التصوفي الطريقي... "اهـ".^(١)

وفي كلام هؤلاء الأجلة رد على أولئك التبليغيين الموجودين في جزيرة العرب الزاعمين أن محمد إلياس داعية سلفي يدعو إلى توحيد الألوهية ونبذ الشرك بالله. فانظر إلى أي مدى بلغ التلاعب بعقول الناس، وإلى أي حد بلغ التدليس والكذب!!

إخوة الإيمان: هل يوجد سلفي موحد يقر كتاب: "تبليغي نصاب" المتضمن للشركيات والبدع؟ وهل يوجد سلفي يبايع على الطرق الصوفية وهكذا أتباعه من بعده كما أقر بذلك أمير الجماعة الحالي إنعام الحسن في رسالة كتبها للشيخ سعد الحصين - حفظه الله -؟ وأليس لو كان داعية سلفياً لرأيت أتباعه في الغالب دعاة سلفيين، ثم وإيم الله لو كان داعية سلفياً نابذاً للشرك لتطارت الأخبار بذلك من ناصرته ومعاديه فأين هي؟ ولم مترجموه لم يذكروا ذلك عنه؟

أيها الألباء: جماعة هذا مؤسسها فما الذي يرجى منها؟!

شبهة حول التبليغيين في شبه جزيرة العرب وجوابها:

يتناقل طائفة كثيرة من الناس شبهة وهي: أن ما سبق ذكره إنما هو في حق التبليغيين الموجودين في الهند والباكستان، أما التبليغيون الموجودون في جزيرة العرب والدول العربية أصحاب العقيدة السلفية فلا ينطبق عليهم هذا التحذير وهم على خير... إلخ، وهذه الشبهة تضمنت حقاً وباطلاً.

أما كون هؤلاء ليسوا كأولئك إذ هم على عقيدة سلفية صحيحة؛ فهذا حق فيمن كان كذلك، لكن ليس معنى هذا أنهم في الدعوة ليسوا على طريقة بدعية، وأيضاً المستمر منهم مع هؤلاء التبليغيين موافق لهم على عدم إنكار الشرك؛ لأن من أصولهم عدم إنكار المنكر أيًا كان، بل

(١) كتاب: نظرة عابرة اعتبارية حول جماعة التبليغ (ص ٧، ٨)، وانظر كتاب: جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية للأستاذ أبي أسامة سيد طالب الرحمن (ص ١٩، ٢١).

وسيوالي التبليغيين الهنود والباكستانيين المبتدعة الواقعين في الشرك؛ لأنهم من جماعته فتراه يحضر اجتماعهم السنوي، ويخرج معهم للدعوة على هذه الطريقة الضالة، فهم بهذا على خطر عظيم، وطريق غير مستقيم، واجب عليهم أجمعين تركها والتوبة إلى الرب الرحيم من الانتساب إليها؛ لكونها مخالفة للشرع^(١) من أوجه:

١- أن هؤلاء التبليغيين الهنود ونحوهم مبتدعة -على أقل الأحوال- فالواجب البراءة منهم، والتحذير من سلوك طريقهم لا الانتساب إليهم والدفاع عنهم، كما هو حال التبليغيين الموجودين في جزيرة العرب.

قال الشيخ حمود التويجري: "وأما قول السائل: هل أنصح بالخروج مع التبليغيين في داخل البلاد -أي: البلاد السعودية- أو في خارجها أم لا؟ فجوابه أن أقول: إني أنصح السائل وأنصح غيره من الذين يحرصون على سلامة دينهم من أدناس الشرك والغلو والبدع والخرافات ألا ينضموا إلى التبليغيين، ولا يخرجوا معهم أبداً، وسواء كان ذلك في البلاد السعودية أو في خارجها؛ لأن أهون ما يقال في التبليغيين أنهم أهل بدعة وضلالة وجهالة في عقائدهم وفي سلوكهم، ومن كانوا بهذه الصفة الذميمة؛ فلا شك أن السلامة في مجانبتهم والبعد عنهم. -ثم قال- وقد كان السلف الصالح يُحذرون من أهل البدع، ويبالغون في التحذير منهم، وينهون عن مجالستهم ومصاحبتهم وسماع كلامهم، ويأمرون بمجانبتهم ومعاداتهم وبغضهم وهجرهم.

قال الشيخ إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني في "عقيدة أهل السنة والجماعة": "ويُجانبون أهل البدع والضلالات، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات، ويغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يُحبونهم ولا يصحبونهم ولا يسمعون كلامهم، ولا يُجالسونهم ولا

(١) علماً بأن الخارجين معهم لتقويم عوجهم وبيان أخطائهم من غير أن ينتسبوا إليهم ليسوا داخلين في هذا التأثيم، وكذلك الجهال غير العالمين بحقيقة أصول دعوتهم ليسوا داخلين في هذا التأثيم، لكن عليهم ترك ما هم عليه متى ما علموا بأصول دعوتهم. (عبد العزيز السدحان معلقاً).

يُجادلونهم في الدين، ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالآذان ووقرت في القلوب؛ ضرت وجرت إليها الوسوس والخطرات الفاسدة" اهـ.

قال الإمام إسماعيل الصابوني: "واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع وإذلالهم وإخزائهم وإبعادهم وإقصائهم، والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم، والتقرب إلى الله تعالى بمجانبتهم ومهاجرتهم" انتهى^(١).

٢- أن هؤلاء التبليغيين المنتسبين للعقيدة السلفية متشبهون بأولئك المبتدعة في الدعوة إلى الله، وقد ثبت عند الإمام أحمد وأبي داود عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: "من تشبه بقوم فهو منهم" وهذا نص عام يشمل حتى المبتدعة، وقد عممه طائفة من أهل العلم حتى على الفساق، فكيف بمن هم أشد وأضل؟ المبتدعة^(٢).

٣- أنهم وإن سلموا ما عندهم من الشراكيات إلا أنهم لم يسلموا من الأمور الأخرى البدعية والدعوة بجهل، ومن المشاهد لكل ذي بصيرة أن كثيرا منهم جهال ليس لهم عناية بعلم، بل شأئهم في المجالس حكاية القصص - التي أعلم بصحتها - والأمثال وهذا من المشهور المعروف عنهم فهو غني عن البرهان والتدليل، وجهلهم هذا بالشرع سبب لهم أموراً مذمومة من الوقوع في البدع، وتناقل الأحاديث الضعيفة، بل ونسبة بعض الأقوال إلى رسول الله ﷺ ظناً منهم أنها من كلامه ﷺ، ومجالسة أصحاب المنكرات حال تلبسهم بالمنكر وعدم الإنكار عليهم^(٣).

٤- أنهم وقعوا فيما وقع فيه تبليغيو الهند وباكستان من الخروج بالجهال للدعوة إلى الله، وقد سبق أن هذا من البدع، وأن فاقد الشيء لا يعطيه.

(١) القول البليغ (ص ٣٠-٣٢).

(٢) ومن أولئك العلماء: القرطبي والصنعاني والنووي إذ حرم الضرب بالصفقتين؛ لأنه تشبه بالمخثين. راجع روضة الطالبين (١/٢٠٦) وسبل السلام (٤/٢٣٨) وكتاب التشبه المنهي عنه (ص ٦٩).

(٣) القول البليغ (١٣-١٥، ٢٧٥).

٥- أتهم سائرون على طريقة تؤدي إلى تقسيم المسلمين وجعلهم أحزاباً وشيعاً، وذلك أتهم تسموا باسم جديد مُحدث جعلهم متميزين به عن باقي المسلمين السائرين على طريقة السلف الماضين، ومعلوم كم لهذا من الأثر في تفريق المسلمين وإشعال الخصومة بينهم؛ فصاروا يسمون أصحابهم أحزاباً ودروسهم بياناً، ومن المقرر في الشرع أن ما أدى إلى تفريق المسلمين وجعلهم أحزاباً مُحرم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١-٣٢]. وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: "ليس في الكتاب ولا السنة ما يبيح تعدد الجماعات والأحزاب؛ بل في الكتاب والسنة ما يذم ذلك" اهـ. ثم بين خطأ قول القائل: لا يُمكن للدعوة أن تقوى وتنشر إلا إذا كانت تحت حزب"^(١).

فتاوى العلماء العالمين بحال التبليغ التبليغيين فيهم:

١- سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله-: قال عن جماعة التبليغ لما سئل عنهم: "وأعرض لسموكم أن هذه جمعية لا خير فيها، فإنها جمعية بدعة وضلالة. وبقراءة الكتيبات المرفقة بخطابهم وجدناها تشتمل على الضلال والبدعة والدعوة إلى عبادة القبور والشرك، الأمر الذي لا يسع السكوت عنه، ولذا فسنقوم -إن شاء الله- بالرد عليها بما يكشف ضلالها ويدفع باطلها. ونسأل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته. والسلام عليكم ورحمة الله". اهـ.^(٢)

تنبيه: أفاد الشيخ حمود التويجري -رحمه الله- أن التبليغيين أهل تلبيس ومكر؛ إذ كانوا لبسوا

(١) كتاب الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات (ص ١٥٤، ١٥٥)، وانظر فتوى للشيخ عبد العزيز ابن باز -رحمه الله- ضمن مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٥/ ٢٠٢-٢٠٤). وراجع -فضلاً لا أمراً- كتاب "حكم الانتماء" فإنه من خيرة ما كتب في هذا الباب.

(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (١/ ٢٦٨).

على الشيخ محمد بن إبراهيم أولاً حتى أخرج فتوى تؤيدهم لكن لما تبين له حالهم وصفهم بعد بأنهم أهل بدعة وضلالة، وهذه حالهم مع أهل العلم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً^(١)، وصدق الشيخ حمود وهو الصدوق - رحمه الله -.

وقد بين هذا بياناً واضحاً محمد شرقاوي، فذكر^(٢) أن عند التبليغيين في برامجهم زيارة خاصة للعلماء يظهر أنفسهم أمام العالم بالسنة، وأنهم يأترون بأمره إذا أمر حتى يطمئن لهم، ويكون ناصرًا لهم فيما بعد، وبهذا تدرك سر انطلاء أمرهم على بعض العلماء وطلبة العلم غير العالمين بهم. فتنبه.

٢- ساحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - قال في إجابة سؤال حول جماعة التبليغ:

"وجماعة التبليغ عندهم جهل وعندهم عدم بصيرة وإلا عندهم تحمس.

ثم قال: ما عندهم بصيرة في العقيدة، ولا ينبغي الانضمام إليهم إلا إنسان عنده علم ينضم إليهم ليوصلهم؛ وليكون معهم في إيضاح الحق أما عامة الناس، لا".

ثم قال: وإلا عندهم حماس وصبر، ونفع الله بهم في أشياء، وأسلم على أيديهم أناس، وإلا ما عندهم بصيرة في العقيدة، ثم أمر بتعلم العلم للموثوقين كابن كثير وابن تيمية وابن القيم وابن رجب وأئمة الدعوة والدرر السنية وفتح المجيد، ثم نهى عن الانضمام لجماعة التبليغ والإخوان المسلمين. ثم ذكر أنه ليس عند جماعة التبليغ دعوة للعقيدة لذا كثر أتباعهم^(٣).

وقال في إجابة سؤال آخر: لا يصح التعصب والتحزب لجماعة التبليغ ولا الإخوان المسلمين.

وقال: أما الانتساب إليهم، لا، ولكن زيارتهم للصالح بينهم والدعوة إلى الخير وتوجيههم للخير

(١) القول البليغ (ص ٢٨٨).

(٢) في كتابه الصفات الستة (ص ٩٢-٩٣).

(٣) كانت الإجابة بتاريخ ٢٧/٣/١٤١٣ راجع شريط بعنوان فتوى حول جماعة التبليغ والإخوان المسلمين، وراجع كتاب مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - (٨/٣٣١).

ونصيحتهم لا بأس^(١).

وسئل - رحمه الله - : أحسن الله إليك، حديث النبي ﷺ في افتراق الأمم: قوله: " ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة " فهل جماعة التبليغ على ما عندهم من شركيات وبدع، وجماعة الإخوان المسلمين على ما عندهم من تحزب وشق العصا على ولادة الأمور وعدم السمع والطاعة. هل هاتين الفرقتين تدخل في الفرق المهالكة؟

فأجاب - غفر الله له - : تدخل في الثنتين والسبعين، من خالف عقيدة أهل السنة دخل في الثنتين والسبعين، المراد بقوله: " أمتي " أي: أمة الإجابة، أي: استجابوا له وأظهروا اتباعهم له، ثلاث وسبعين فرقة: الناجية السليمة التي اتبعته واستقامت على دينه، واثنان وسبعون فرقة: فيهم الكافر، وفيهم العاصي، وفيهم المبتدع، أقسام.

فقال السائل: يعني: هاتين الفرقتين من ضمن الثنتين والسبعين؟

فأجاب: نعم، من ضمن الثنتين والسبعين والمرجئة وغيرهم، المرجئة والخوارج بعض أهل العلم يرى الخوارج من الكفار خارجين، لكن داخلين في عموم الثنتين والسبعين. اهـ.^(٢)
تنبيه: كانت لسماحة الشيخ - رحمه الله - فتاوى قديمة فيها تركية للجماعة ثم بعد ذلك لم يعد يزكيهم وصار في فتاويه يُحذر منهم ويبين أنهم جهال في العقيدة، وينصح طلاب العلم خاصة بالخروج معهم لدعوتهم وإصلاحهم. أفاده تلميذه فضيلة الشيخ عبد العزيز السدحان - حفظه الله - .

٣- الشيخ الفقيه الأصولي عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - : سئل عن خروج جماعة التبليغ

لتذكير الناس بعظمة الله؟

(١) كانت هذه الإجابة بتاريخ ٦/١٢/١٤١٦هـ راجع شريط القول البليغ في ذم جماعة التبليغ.
(٢) ضمن دروسه في شرح المنتقى في الطائف، وهي في شريط مسجل، وهي قبل وفاته - رحمه الله - بسنتين أو أقل. وراجع شريط القول البليغ في ذم جماعة التبليغ، ومطوية " أقوال علماء السنة في جماعة التبليغ " .

فقال الشيخ - رحمه الله -: الواقع أنَّهم مبتدعة ومُحرِّفون وأصحاب طرق قادرية وغيرهم، وخروجهم ليس في سبيل الله لكنه في سبيل إلياس، هم لا يدعون إلى الكتاب والسنة ولكن يدعون إلى إلياس شيخهم في بنجلاديش، أما الخروج بقصد الدعوة إلى الإسلام فهو جهاد في سبيل الله، وليس هذا هو خروج جماعة التبليغ، وأنا أعرف التبليغ من زمان قديم، وهم المبتدعة في أي مكان كانوا هم في مصر وإسرائيل، وأمريكا، والسعودية. وكلهم مرتبطون بشيخهم إلياس. اهـ. (١).

٤ - الشيخ العلامة حمود بن عبد الله التويجري - رحمه الله -: قد ألف - رحمه الله - كتابًا خاصًا فيهم، وله فيهم فتوى عظيمة طبعت مع أول كتابه القول البليغ فلترجع، وقد صدر هذه الفتوى بقوله: أما جماعة التبليغ، فإنَّهم جماعة بدعة وضلالة، وليسوا على الأمر الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان، وإنَّما هم على بعض طرق الصوفية ومناهجهم المبتدعة.

ثمَّ قال في الإجابة عن قول السائل: هل أنصح بالخروج مع التبليغيين في داخل البلاد - أي: البلاد السعودية - أو في خارجها أم لا؟ فجوابه أن أقول: وأنصح غيره من الذين يحرصون على سلامة دينهم من أدناس الشرك والغلو والبدع والخرافات ألاَّ ينضموا إلى التبليغيين، ولا يخرجوا معهم أبدًا، سواء كان ذلك في البلاد السعودية أو في خارجها... - وقد تقدم نقلها. - اهـ. (٢).

وكلام الشيخ حمود هذا فيه صريح الرد على من قال إن الشيخ حمودًا إنَّما قصد التبليغيين الذين هم في الخارج ولم يقصد الذين هم في الداخل. فتنبه.

٥ - الشيخ العلامة المُحدث الفهامة: محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - قال: الذي أعتقده أن دعوة التبليغ هي صوفية عصرية لا تقوم على كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -.

(١) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي (١/ ١٧٤).

(٢) (ص ٣٠، ٧).

ثم قال: إن من عجبني أنهم يخرجون للتبليغ وهم يعترفون أنهم ليسوا أهلاً للتبليغ، والتبليغ إنما يقوم به أهل العلم كما كان رسول الله ﷺ يفعل حينما كان يرسل الرسل من أصحابه من أفاضل أصحابه من علمائهم وفقهائهم ليعلموا الناس الدين والإسلام... اهـ.^(١)

٦- قال الشيخ العلامة المحدث حماد بن محمد الأنصاري -رحمه الله-: جماعة التبليغ فيها

خير وشر، وهم مبتدعة ماتريديّة في العقيدة، أحناف متعصبون. اهـ.^(٢)

وقال: إن هؤلاء الجماعة لا يريدون العلم ولا يطلبونه، فهذه الطريقة يفسدون أكثر مما

يصلحون، وجماعة التبليغ أعرفها جيداً، هم في العقيدة ماتريديّة جشّية، وفي المذهب أحناف

متعصبة اهـ.^(٣)

وقال: السلفية هي السنة والجماعة؛ لأن معنى السلفية التمسك بما كان عليه السلف

الصالح في الماضي،

ثم قال: كل من كان على فكر مخالف لأهل السنة فليس منهم، فجماعة الإخوان والتبليغ

ليسوا من أهل السنة، لأنهم على أفكار تخالفهم. اهـ.^(٤)

٧- الشيخ العلامة صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة

للبحوث العلمية والإفتاء- حفظه الله-: قد قدم لكتاب "جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية

عقائدها تعريفها"، وقدّم لكتاب "حقيقة الدعوة إلى الله تعالى وما اختصت به جزيرة العرب"

للشيخ سعد الحصين، ثمّ قال في مقدمة الكتاب: فقد حاول أعداء هذه الدعوة -أي: دعوة

التوحيد- أن يقضوا عليها بالقوة فلم ينجحوا، وحاولوا أن يقاوموها بالتشكيك والتضليل

(١) راجع شريط القول البليغ في ذم جماعة التبليغ.

(٢) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (٢/٤٨١).

(٣) المرجع السابق (٢/٥٨٧).

(٤) المرجع السابق (٢/٧٦٢-٧٦٣).

والشبهات ووصفها بالأوصاف المنفرة، فما زادها إلا تألقاً ووضوحاً، وقبولاً، وإقبالاً. ومن آخر ذلك ما نعايشه الآن من وفود أفكار غريبة مشبوهة إلى بلادنا باسم الدعوة على أيدي جماعات تتسمى بأسماء مختلفة مثل: جماعة الإخوان المسلمين، وجماعة التبليغ، وجماعة كذا وكذا، وهدفها واحد، وهو أن تزيع دعوة التوحيد وتحل محلها، وفي الواقع أن مقصود هذه الجماعات لا يختلف عن مقصود من سبقهم من أعداء هذه الدعوة المباركة، كلهم يريدون القضاء عليها - لكن الاختلاف اختلاف خطط فقط -، وإلا لو كانت هذه الجماعات حقاً تريد الدعوة إلى الله فلماذا تتعدى بلادها التي وفدت إلينا منها، وهي أحوج ما تكون إلى الدعوة والإصلاح؟

تتعداها وتغزو بلاد التوحيد تريد تغيير مسارها الإصلاحية الصحيح إلى مسار معوج، وتريد التغرير بشبابها، وإيقاع الفتنة والعداوة بينهم. ثم قال: وإذا كانت هذه الجماعات قد غررت ببعض شبابنا، فتأثروا بأفكارها، وتنكروا لمجتمعهم، وتشككوا في قادتهم وعلمائهم، وانطفت الغيرة على العقيدة فيهم، فتركوا الاهتمام بها، وصاروا يهرفون بما لا يعرفون، وينعقون بما يسمعون. فإن في هذه البلاد - والله الحمد - رجالاً يغارون لدينهم ويدافعون عن عقيدتهم، ويردون كيد الأعداء في نُحورهم، ولا ينخدعون بالأسماء البراقة ولا يتأثرون بالحماس الكاذب. اهـ.^(١)

٨- الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن الغديان عضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية

والإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء: لما سئل عن مصاحبة جماعة التبليغ نهي عن ذلك^(٢).

٩- فضيلة الشيخ صالح الأطرم عضو هيئة كبار العلماء وعضو الإفتاء: قد ذمهم وحذر

(١) حقيقة الدعوة إلى الله (ص ٣-٤).

(٢) وكانت الإجابة بتاريخ ٢٢/٦/١٤١٣ هـ راجع شريط القول البليغ في ذم جماعة التبليغ.

منهم وبين كثيرًا من عوارهم^(١).

١٠ - فضيلة الشيخ عبد المحسن العباد: قد بين في إجابته عن سؤال حول جماعة التبليغ والإخوان المسلمين أنّها جماعات مُحدثة وأن عندهم خطأ وصوابًا لكن الخطأ أكبر فليحذرهما الإنسان... إلخ^(٢).

١١ - فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله العبود مدير الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية: قال في مقدمة كتاب "حقيقة الدعوة إلى الله تعالى": "وإن في كل من منهجي جماعة التبليغ والإخوان المسلمين من المخالفات لمنهج رسول الله ﷺ أمورًا خطيرة واضحة لمن تدبر وأنصف وسبر عن علم وبصيرة، سواء في العقيدة والتوحيد، أو في السلوك والهدي وقد أوضحت هذه الرسالة المفيدة جانبًا مهمًا من هذا، كما قد بذل فضيلة الشيخ سعد جهدًا مشكورًا مفيدًا في النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم، واحتج على المخالفين بأقوال شيوخهم وعلماهم التي ميز زيفها بفرقان الوحي النبوي، فلم يعد الصواب في النقد، بل وفق بحمد الله أيما توفيق فجزاه الله خير الجزاء وتقبل منا ومنه اهـ^(٣).

(١) راجع شريط القول البليغ في ذم جماعة التبليغ.

(٢) المصدر السابق.

(٣) حقيقة الدعوة إلى الله (ص ١٨).

فصل: خلاصة أقوال العلماء فيهم

إن جماعة التبليغ مبتدعة فليسوا على الأمر الأول الذي عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وأنهم جماعة ضلالة في أي مكان كانوا، سواء في مصر أو السعودية أو غيرها، فهم صوفية عصرية، وجهال لا بصيرة لهم في أهم المهمات، وهي العقيدة الصحيحة؛ فليسوا دعاة للتوحيد والعقيدة الصحيحة لذا كثر أتباعهم، ومن عجيب أمرهم أنهم معترفون بجهلهم، ومع ذلك يدعون غيرهم، فهل فاقد الشيء يعطيه؟! لذا لا يجوز الانضمام إليهم، ولا الخروج معهم، واستثنى الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - من عنده علم، فإنه يصح له الخروج معهم بنية إصلاحهم ودعوتهم لأنهم محتاجون إلى من يدعوهم.

أخي القارئ: هذه خلاصة كلمات أهل العلم فيهم، فأنت تراها واضحة جلية في ذم هذه الجماعة والتحذير منهم، وأن عندهم خللاً في دعوتهم؛ لجهلهم وعدم اهتمامهم بالعقيدة الصحيحة، فهل بعد كلامهم لمتبغى الحق والهدى كلام؟ وهل بعد رشدهم لطالبه رشد؟ أيها الموفق: إن معرفتك بموقف أهل العلم من هذه الجماعة يجعلك تفسر سبب طعن التبليغيين في طلاب العلم والعلماء، إما بالتصريح أو التلميح، ويجعلك تفسر سبب عزلهم أتباعهم عن دروس العلم وأهله، فإياك وإياهم، وفر بدينك منهم فإن النجاة كل النجاة في اتباع ورثة الأنبياء والرسل.

وحذارٍ أن تغتر بهداية بعض الخلق على أيديهم فإن هذا ليس معياراً للصحة دعوتهم بل المعيار حقاً والميزان صدقاً مدى موافقتهم لطريقة الرسول ﷺ وأصحابه، فالنجاة في الاتباع لا الابتداء، فقد أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر". فجمع رسول الله ﷺ بين كونه فاجراً ونصرته للدين، وهل هذا إلا لتخلفه عن هدي

سيد المرسلين ﷺ!؟

وحذارٍ -أيضاً- أن تغتر بحماستهم وتضحياتهم في الدعوة إلى الله، فإن الاجتهاد في العمل لا يدل على صحته ما لم يكن موافقاً لهدي الرسول ﷺ؛ إذ قال غير واحد من السلف: اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة، ويؤكد هذا ما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال في الخوارج الموصوفين بالاجتهاد في الصلاة وقراءة القرآن: "دعه فإن له أصحاب يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية". وكن على ذكر أن الخطاب للصحابة الذين هم خير الناس صلاة وصياماً، ومع هذا لم ينفع الخوارج اجتهادهم في العمل لما لم يكن على هدي رسول الله ﷺ.

ابن تيمية والتبليغيون:

إن لهذا الإمام السلفي الكبير فتوى^(١) قوية في أمثال هؤلاء التبليغيين الموجودين في بلاد السعودية المخالفين في طريقة الدعوة دون المعتقد، وهذه الشدة منه في حق من معتقده سليم، فكيف لو كان مخالفاً في المعتقد أيضاً؟ علماً أن هذا الإمام لم يبادر بالجواب مباشرة، بل قعد في ثنايا كلامه قواعد، وأصل أصولاً مهمة حري بالدعاة معرفتها والإحاطة بها. فإليكها مع شيء من التعليقات:

وسئل شيخ الإسلام علامة الزمان: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني رحمته الله عن جماعة يجتمعون على قصد الكبائر: من القتل، وقطع الطريق، والسرقه، وشرب الخمر، وغير ذلك، ثم إن شيخاً من المشائخ المعروفين بالخير واتباع السنة قصد منع المذكورين من ذلك، فلم يتمكن إلا أن يقيم لهم سماعاً يجتمعون فيه

(١) طبعت هذه الفتوى ضمن مجموع الفتاوى (١١/ ٦٢٠-٦٣٥) وقد أفردت في كتيب صغير بعنوان: الطرق الشرعية والطرق البدعية في المسائل الدعوية مع عزو للآيات وتخريج للأحاديث.

بهذه النية، وهو بدف بلا صلاح، وغناء المغني بشعر مباح بغير شبابة، فلما فعل هذا تاب منهم جماعة، وأصبح من لا يصلي ويسرق ولا يزكي يتورع عن الشبهات، ويؤدي المفروضات، ويحْتَنِبُ المحرمات، فهل يباح فعل هذا السماع لهذا الشيخ على هذا الوجه، لما يترتب عليه من المصالح مع أنه لا يُمكنه دعوتهم إلا بهذا؟. اهـ.

وقبل إيراد جواب ابن تيمية ألفت نظر القارئ الكريم إلى أن هذه الواقعة التي أفتى فيها ابن تيمية بهذه الفتوى القوية جمعت أمورًا:

الأول: سوء حال المدعويين قبل هدايتهم بأن كانوا مرتكبين لذنوب كبائر متعدية: كالقتل وسرقة المال وقطع الطرق.

الثاني: صلاح الداعية بأن كان شيخًا معروفًا بالخير واتباع السنة.

الثالث: أنه قصد من فعله الخير.

الرابع: لم يُمكنه إلا اتخاذ هذه الطريقة لهدايتهم.

الخامس: أنه لم يقع معهم في محرمات كبائر، وإنما دف بلا صلاح، وغناء بشعر مباح بغير شبابة.

السادس: أنه ترتب على هذه الطريقة مصلحة كبيرة وخير عظيم، ومع هذا كله لم تغلب ابن تيمية عاطفته ولم ينكسر لها، بل بنى فتواه على الأدلة الشرعية والقواعد المرعية فكان حكمه في هذه الواقعة ما سترى.

فأجاب: الحمد لله رب العالمين، أصل جواب هذه المسألة وما أشبهها: أن يعلم أن الله بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً^(١)، وأنه أكمل له ولأمته

(١) قد سبق أن هذه الفتوى متضمنة قواعد شرعية فمنها ما يلي:

القاعدة الأولى: أن الطريقة التي عليها رسول الله ﷺ هي الهدى ودين الحق، فمن أراد الهدى ودين الحق فليلزم طريقته، وليتمسك بهديه في كل شيء لاسيما في أكبر المهمات: الدعوة إلى الله.

الدين، كما قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] (١). وأنه بشر بالسعادة لمن أطاعه، والشقاوة لمن عصاه، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣] (٢).

وأمر الخلق أن يردوا ما تنازعوا فيه من دينهم إلى ما بعثه به، كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] (٣). وأخبر أنه يدعو إلى الله وإلى

(١) القاعدة الثانية: أن الدين كامل فكل ما رآه الناس ديناً ولم يكن ديناً في عهد رسول الله ﷺ وصحابته مع إمكانهم التدين به فليس ديناً، ومن كمال هذا الدين القويم أن فيه ما يكون سبباً لهداية الضالين وتتويب العاصين، لكن قد يخفى على البعض لجهله، فعلى هذا فليلزم العلم النافع، أو قد يكون عالمياً به لكن يكون عاجزاً عنه، فمن ثم ليتخذ الأسباب المعينة وهي كثيرة.

ومما يوضح كمال الشرع في هذا: أن المصلحين منذ بعثة رسول الله ﷺ إلى قبل هذه الطريقة المُحدثة يتسببون في هداية الخلق من كفار ضالين وعصاة فاسقين وغيرهما.

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١١ / ٣٤٤-٣٤٥): والقول الجامع أن الشريعة لا تُهمَل مصلحة قط، بل الله تعالى قد أكمل لنا الدين وأتم النعمة، فما من شيء يقرب إلى الجنة إلا وقد حدثنا به النبي ﷺ، وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك، لكن ما اعتقده العقل مصلحة وإن كان الشرع لم يرد به فأحد الأمرين لازم له: إما أن الشرع دل عليه من حيث لم يعلم هذا الناظر، أو أنه ليس بمصلحة وإن اعتقده مصلحة؛ لأن المصلحة هي المنفعة الحاصلة أو الغالبة، وكثيراً ما يتوهم الناس أن الشيء ينفع في الدين والدنيا ويكون فيه منفعة مرجوحة بالمضرة، كما قال تعالى في الخمر والميسر: ﴿قُلْ فِيهَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِنَّهَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهَا﴾ [البقرة: ٢١٩]. وكثير مما ابتدعه الناس من العقائد والأعمال من بدع أهل الكلام والتصوف وأهل الرأي وأهل الملك حسبوه منفعة أو مصلحة نافعاً وحقاً وصواباً ولم يكن كذلك. اهـ.

(٢) القاعدة الثالثة: أن الطريقة التي عليها رسول الله ﷺ هي الطريق الموصلة للسعادة، وما عداها موصلة للشقاوة فمن أراد السعادة فليلزم طريقته.

(٣) القاعدة الرابعة: أن المرجع في تمييز الحق من الباطل: كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ القولية والفعلية، فما اختلف فيه أهو حق أم باطل؟ فالمرجع للكتاب والسنة، فما وافقها فهو حق وما خالفها فهو باطل، فهل يا ترى ما عليه التبليغيون في الدعوة هو الذي عليه رسول الله ﷺ وصحابته؟ ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

صراطه المستقيم كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي...﴾ [يوسف: ١٠٨]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْأَلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].^(١)

وأخبر أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحل الطيبات ويحرم الخبائث، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧].

وقد أمر الرسول ﷺ بكل معروف ونهى عن كل منكر^(٢)، وأحل كل طيب وحرم كل خبيث، وثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال: " ما بعث الله نبيًّا ﷺ إلا كان حقًّا ﷻ عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم ". وثبت عن العرباض بن سارية قال: " وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، قال: فقلنا: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد علينا؟ فقال: أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا

(١) القاعدة الخامسة: أن رسول الله ﷺ كان من الدعاة بل إمامهم، وكذلك صحابته من بعده وكانوا يدعون على سبيل معين وطريقة مستقيمة توصل إلى الصراط المستقيم، وما عداها من السبل طرق مضلة غير مستقيمة ولا توصل إلى صراط الله المستقيم. فهل من مدكر؟!

(٢) القاعدة السادسة: أن رسول الله ﷺ أمر بكل معروف ونهى عن كل منكر، فكل معروف مزعوم في الدعوة أو وسيلتها لم يسلكه رسول الله ﷺ مع وجود المقتضي وانتقاء المانع فليس من المعروف في شيء؛ إذ لو كان خيراً ومعروفاً لما تركه رسول الله ﷺ وإن ظنه غيره من المعروف، وليس معن آى هذا أن وسائل الدعوة توفيقية مطلقاً، كلا بل منها ما هو توقيفي، وغير توقيفي - على ما سيأتي تفصيله -.

عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور. فإن كل بدعة ضلالة". وثبت عنه رضي الله عنه أنه قال: " ما تركت من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به "، وقال: " تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ".

وشواهد هذا -الأصل العظيم الجامع- من الكتاب والسنة كثيرة وترجم عليه أهل العلم في الكتب "كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة" كما ترجم عليه البخاري والبخاري وغيرهما، فمن اعتصم بالكتاب والسنة كان من أولياء الله المتقين، وحزبه المفلحين، وجنده الغالبين، وكان السلف -كمالك وغيره- يقولون: السنة كسفينة نوح: من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، وقال الزهري: كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجات.

إذا عُرف هذا فمعلوم أن ما^(١) يهدي الله به الضالين، ويرشد به الغاوين، ويتوب به على العاصين، لا بد أن يكون فيما بعثه الله به من الكتاب والسنة، وإلا فإنه لو كان ما بعث الله به الرسول ﷺ لا يكفي في ذلك، لكان دين الرسول ناقصاً محتاجاً تتمه، وينبغي أن يُعلم أن الأعمال الصالحة أمر الله بها أمر إيجاب أو استحباب، والأعمال الفاسدة نهي الله عنها.

والعمل إذا اشتمل على مصلحة ومفسدة، فإن الشارع حكيم؛ فإن غلبت مصلحته على مفسدته شرعه، وإن غلبت مفسدته على مصلحته لم يشره بل نهى عنه، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]. وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخُمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]. ولهذا حرمها الله تعالى بعد ذلك.

وهكذا ما يراه الناس من الأعمال مقرباً إلى الله ولم يشره الله ورسوله: فإنه لا بد أن يكون

(١) في الأصل "إنها" ولعل الصواب ما أثبت.

ضرره أعظم من نفعه، وإلا فلو كان نفعه أعظم غالباً على ضرره لم يهمله الشارع؛ فإنه ﷺ حكيم، لا يهمل مصالح الدين، ولا يفوت المؤمنين ما يقربهم إلى رب العالمين.

إذا تبين هذا فنقول للسائل: إن الشيخ المذكور قصد أن يُتوب المُجتمعين على الكبائر، فلم يمكنه ذلك إلا بما ذكره من الطريق البدعي، يدل أن الشيخ جاهل بالطرق الشرعية التي بها تتوب العصاة، أو عاجز عنها، فإن الرسول ﷺ والصحابة، والتابعين كانوا يدعون من هو شر من هؤلاء من أهل الكفر والفسوق والعصيان بالطرق الشرعية التي أغناهم الله بها عن الطرق البدعية.

فلا يجوز أن يقال: إنه ليس في الطرق الشرعية التي بعث الله بها نبيه ما يتوب به العصاة، فإنه قد علم بالاضطرار والنقل المتواتر أنه قد تاب من الكفر والفسوق والعصيان من لا يُحصيه إلا الله تعالى من الأمم بالطرق الشرعية، التي ليس فيها ما ذكر من الاجتماع البدعي؛ بل السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان - وهم خير أولياء الله المتقين من هذه الأمة - تابوا إلى الله تعالى بالطرق الشرعية لا بهذه الطرق البدعية، وأمصار المسلمين وقراهم قديماً وحديثاً مملوءة ممن تاب إلى الله واتقاه، وفعل ما يحبه الله ويرضاه بالطرق الشرعية لا بهذه الطرق البدعية.

فلا يمكن أن يقال: إن العصاة لا تمكن توبتهم إلا بهذه الطرق البدعية، بل قد يقال: إن في الشيوخ من يكون جاهلاً بالطرق الشرعية، عاجزاً عنها، ليس عنده علم بالكتاب والسنة وما يُخاطب به الناس، ويسمعهم إياه مما يتوب الله عليهم، فيعدل هذا الشيخ عن الطرق الشرعية إلى الطرق البدعية، إما مع حسن القصد - إن كان له دين - وإما أن يكون غرضه الترويس عليهم وأخذ أموالهم بالباطل، كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

فلا يعدل أحد عن الطرق الشرعية إلى البدعية إلا لجهل، أو عجز، أو غرض فاسد^(١)، وإلا

(١) أعد النظر والفكر وفتش نفسك، عافاني الله وإياك من سخطه وأليم عقابه.

فمن المعلوم أن سماع القرآن هو سماع النبيين والعارفين والمؤمنين، قال تعالى في النبيين: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]. وقال تعالى في أهل المعرفة: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣]. وقال تعالى في حق أهل العلم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا. وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِن كَان وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا. وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩]. وقال في المؤمنين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢-٣-٤]. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ لِقَوْمٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

وبهذا السماع هدى الله العباد، وأصلح أمر المعاش والمعاد، وبه بعث الرسول ﷺ وبه أمر المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وعليه كان يجتمع السلف كما كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا أمروا رجلاً منهم أن يقرأ وهم يستمعون، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى: ذكّرنا ربنا، فيقرأ أبو موسى وهم يستمعون.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه مر بأبي موسى الأشعري وهو يقرأ، فجعل يستمع لقراءته وقال: "لقد أوتي هذا مزاراً من مزامير آل داود"، وقال: "مررت بك البارحة وأنت تقرأ فجعلت أستمع لقراءتك، فقال: لو علمت أنك تسمعني لحبرته لك تحبيراً". أي: لحسنه لك تحسيناً.

وفي الصحيح أنه ﷺ قال لابن مسعود: "اقرأ عليّ القرآن. فقال: أقرأ عليك القرآن وعليك أنزل؟! فقال: إني أحب أن أسمع من غيري. قال: فقرأت عليه سورة النساء حتى وصلت إلى

هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ قال لي: حسبك (١)، فنظرت إليه فإذا عيناه تذرفان من البكاء". وعلى هذا السماع كان يجتمع القرون الذين أثنى عليهم النبي ﷺ حيث قال: "خير القرون الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم".

ولم يكن في السلف الأول سماع يجتمع عليه أهل الخير إلا هذا، لا بالحجاز، ولا باليمن، ولا بالشام، ولا بمصر، والعراق وخراسان والمغرب، وإنما حدث السماع المبتدع بعد ذلك. وقد مدح الله أهل هذا السماع المقبلين عليه، وذم المعرضين عنه، وأخبر أنه سبب الرحمة فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان: ٧٣]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ. كَأَنَّهُمْ مُّجْرِمٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٤٩-٥١]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ﴾ [الكهف: ٣٧]. وقال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكَ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى. وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ

(١) قد شاع وانتشر عند كثير من القارئيين لكتاب الله قول: "صدق الله العظيم" بعد الانتهاء من القراءة مع كون خير المتعبدين التاليين لكتاب الله - محمد ﷺ - لم يكن يفعل ذلك ولا صحابته خير الناس بعده، فدل هذا دلالة واضحة على أنه بدعة يجب تركه والتوبة إلى الله منه، فهل يا ترى لو كان من الدين المرضي لرب العالمين يتركه رسول الله ﷺ وصحابته من بعده؟

وإلى كونه بدعة ذهبت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية فتوى رقم (٣٠٣٣)، والعلامة الفقيه محمد بن صالح العثيمين كما في كتاب إزالة الستار عن الجواب المختار (١٢٦-١٣١)، والشيخ بكر أبو زيد كما في كتاب تصحيح الدعاء (ص ٢٩٢).

ومما يؤسف: أنه مع كثرة وجلالة الناصين على بدعية هذا القول إلا أنك لا تزال تسمع القارئيين للقرآن في الإذاعات ومنها الإذاعة المباركة إذاعة القرآن الكريم تلهج بهذا القول في ختام كل قراءة، فاللهم هداك.

مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى. قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا. قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿طه: ٧٣-٧٦﴾. ومثل هذا في القرآن كثير يأمر الناس باتباع ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة، ويأمرهم بسماع ذلك.

وقد شرع الله تعالى السماع للمسلمين: في المغرب، والعشاء، والفجر. قال تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]. وبهذا مدح عبد الله ابن رواحة النبي ﷺ حيث قال:

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
بيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالكافرين المضاجع
أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما (١) قال واقع

وأحوال أهل هذا السماع المذكورة في كتاب الله، من وجل القلوب، ودمع العيون، واقتشعرار الجلود، وإنما حدث سماع الأبيات بعد هذه القرون، فأنكره الأئمة، حتى قال الشافعي - رحمه الله - : خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة، يسمونه التبغير، يزعمون أنه يرقق القلوب، يصدون به الناس عن القرآن. وسئل الإمام أحمد عنه فقال: مُحدث، فقيل له: أنجلس معهم فيه؟ فقال: لا يجلس معهم.

والتبغير: هو الضرب بالقضيب على جلودهم، من أمثل أنواع السماع، وقد كرهه الأئمة فكيف بغيره؟!

والأئمة المشائخ الكبار لم يحضروا هذا السماع المُحدث، مثل الفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والسري السقطي، وأمثالهم. ولا أكابر الشيوخ المتأخرين مثل: الشيخ عبد القادر، والشيخ عدي، والشيخ أبي مدين،

(١) في الأصل "إنما" والصحيح ما أثبت كما هو موجود في صحيح البخاري برقم (١١٥٥).

والشيخ أبي البيان، والشيخ أبي القاسم الحوفي، والشيخ علي بن وهب، والشيخ حياة، وأمثالهم. وطائفة من الشيوخ حضروه ثم رجعوا عنه.

وسئل الجنيد عنه فقال: "من تكلف السماع فُتن به، ومن صادفه السماع استراح به"، فبيّن الجنيد أن قاصد هذا السماع صار مفتوناً، وأما من سمع ما يناسبه بغير قصد فلا بأس. فإن النهي إنما يتوجه إلى الاستماع دون السماع.

ولهذا لو مر الرجل بقوم يتكلمون بكلام مُحرم لم يجب عليه سد أذنيه؛ لكن ليس له أن يستمع من غير حاجة، ولهذا لم يأمر النبي ﷺ ابن عمر بسد أذنيه لما سمع زمارة الراعي: لأنه لم يكن مستمعاً بل سامعاً.

وقول السائل وغيره: هل هو حلال أو حرام؟ لفظ مجمل فيه تلبس يشتهه الحكم فيه، حتى لا يحسن كثير من المفتين تحرير الجواب فيه؛ وذلك أن الكلام في السماع وغيره من الأفعال على ضربين:

أحدهما: أنه هل هو مُحرم، أو غير مُحرم؟ بل يفعل كما يفعل سائر الأفعال التي تلتذ بها النفوس، وإن كان فيها نوع من اللهو واللعب كسماع الأعراس وغيرها، مما يفعله الناس لقصد اللذة واللهو لا لقصد العبادة والتقرب إلى الله.

والنوع الثاني: أن يفعل على وجه الديانة والعبادة وصلاح القلوب وتجريد حب العباد لربهم وتزكية نفوسهم وتطهير قلوبهم، وأن تُحرك من القلوب الخشية والإنابة والحب ورقة القلوب، وغير ذلك مما هو من جنس العبادات والطاعات، لا من جنس اللعب والملهيات.

فيجب الفرق بين سماع المتقربين وسماع المتلعين، وبين السماع الذي يفعله الناس في الأعراس والأفراح ونحو ذلك من العادات، وبين السماع الذي يفعل لصلاح القلوب والتقرب إلى رب

السموات (١)، فإن هذا يسأل عنه: هل هو قربة وطاعة؟ وهل هو طريق إلى الله؟ وهل لهم بد من أن يفعلوه لما فيه من رقة قلوبهم وتحريك وجدهم لمحبتهم وتزكية نفوسهم وإزالة القسوة عن قلوبهم ونحو ذلك من المقاصد التي تقصد بالسماع، كما أن النصارى يفعلون مثل هذا السماع في كنائسهم على وجه العبادة والطاعة لا على وجه اللهو واللعب؟!

إذا عرف هذا فحقيقة السؤال: هل يباح للشيخ أن يجعل هذه الأمور -التي هي: إما محرمة أو مكروهة أو مباحة قربة وعبادة وطاعة وطريقة إلى الله يدعو بها إلى الله، ويتوب العاصين، ويرشد به الغاوين ويهدي به الضالين؟

ومن المعلوم أن الدين له "أصلان" فلا دين إلا ما شرع الله (٢)، ولا حرام إلا ما حرمه الله، والله تعالى عاب على المشركين أنهم حرموا ما لم يحرمه الله، وشرعوا ديناً لم يأذن به الله.

ولو سئل العالم عن يعدو بين جبلين: هل يباح (٣) له ذلك؟ قال: نعم، فإذا قيل: إنه على

(١) كل ما يرجو منه فاعله أجراً ويفعله على أنه محبوب لله ومُرضٍ له فهو من جملة العبادات وإن لم يسمه صاحبه عبادة، كما أشار إلى هذا ابن تيمية في هذه الفتوى المباركة.

(٢) فمن هذا يتبين أن الأصل في العبادات: الحظر والمنع، والدليل قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾. وما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة أن رسول الله ﷺ قال: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد". ومعنى قوله: "أمرنا" أي: ديننا.

قال ابن تيمية في القواعد النورانية (ص ١٣٤): فباستقراء أصول الشريعة نعلم أن العبادات التي أوجبها الله أو أحبها لا يثبت الأمر بها إلا بالشرع.

ثم قال: ولهذا كان أحمد وغيره من فقهاء أهل الحديث يقولون: إن الأصل في العبادات التوقيف فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله وإلا دخلنا في معنى قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾ اهـ. وانظر مجموع الفتاوى (٢٢٠/٥١٠)، (٣١/٣٥) والافتضاء (٢/٥٨٥) وإعلام الموقعين (١/٣٤٤).

(٣) العبادة لا تخرج عن كونها واجبة أو مستحبة فعلاً، ومحرمة أو مكروهة تركاً، ولا يصح للمسلم أن يتعبد الله بفعل المباحات -إلا في صورة واحدة يأتي ذكرها- فمن باب أولى لا يصح له أن يتعبد الله بفعل المكروهات والمحرّمات، فمن ثم يعلم أنه لا توجد عبادة جائزة مباحة فعلاً وهي ليست واجبة ولا مستحبة. كما يذكر البعض أن إهداء القرب للأموال ليست واجبة ولا مستحبة لكنها جائزة (مباحة)، قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١١/٤٥٠): "فهذا أصل عظيم تجب معرفته والاعتناء به، وهو أن المباحات إنما تكون مباحة إذا جعلت مباحات، فأما إذا اتخذت واجبات أو مستحبات كان ذلك ديناً لم يشرعه الله، وجعل ما ليس من الواجبات والمستحبات منها بمنزلة جعل ما ليس من المحرمات منها، فلا

حرام إلا ما حرمه الله ولا دين إلا ما شرعه الله، ولهذا عظم ذم الله في القرآن لمن شرع ديناً لم يأذن الله به، ولمن حرم ما لم يأذن الله بتحريمه، فإذا كان هذا في المباحات فكيف بالمكروهات أو المحرمات؟ - إلى أن قال-: بإهمال هذا الأصل غلط خلق كثير من العلماء والعباد يرون الشيء إذا لم يكن محرماً لا ينهاه عنه، بل يقال إنه جائز، ولا يفرقون بين اتخاذه ديناً وطاعة وبراً وبين استعماله كما تستعمل المباحات المحضه.

ومعلوم أن اتخاذه ديناً بالاعتقاد أو الاقتصاد أو بهما أو بالقول أو بالعمل أو بهما من أعظم المحرمات وأكبر السيئات، وهذا من البدع المنكرات التي هي أعظم من المعاصي التي يعلم أنها معاصي وسيئات " اهـ. وقال في الاستقامة (١/ ٢٦٠): " فلزوم زي معين من اللباس سواء كان مباحاً أو كان ممماً يقال إنه مكروه بحيث يجعل ذلك ديناً مستحباً وشعاراً لأهل الدين هو من البدع أيضاً، فكما أنه لا حرام إلا ما حرمه الله، فلا دين إلا ما شرعه الله " اهـ.

وقد أنكر ابن تيمية على الذين يقولون: السفر إلى قبر الرسول ﷺ مباح؛ ثم يتعبدون الله بذلك، فبين - رحمه الله - أنه على فرض الإباحة، فإن العبادة لا تكون إلا بأمر واجب أو مستحب ولا تكون بأمر مباح، راجع الصارم المنكي (ص ٤٦) وراجع للاستزادة: مجموع الفتاوى (١/ ٤٨٠، ٤٨١) (١١/ ٦٣٤-٦٣١). وقد سبقت الإشارة: إلى أن المباح يصح التعبد به في حالة واحدة وهي أن يكون عوناً على فعل الطاعات فلا يتقصد لذاته بل لغيره، وهو كونه مُعيناً على الطاعات، ويدل لهذا ما رواه مسلم عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: " وفي بضع أحدكم صدقة. قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في الحرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر ". وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال: " إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى مات أجعل في في امرأتك ". وروى البخاري أن أبا موسى قال لمعاذ بن جبل: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي ". قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/ ٦٢) بعد حديث أبي ذر السابق: " وظاهر هذا السياق يقتضي أنه يؤجر على جماعه لأهله بنية طلب الولد الذي يترتب الأجر على تربيته وتأديبه في حياته ويحتسبه عند موته... " اهـ.

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٧/ ٤٨): " وأما إذا فعل المؤمن ما أبيح له قاصداً للعدول عن الحرام إلى الحلال لحاجته إليه، فإنه يثبت على ذلك، كما قال النبي ﷺ: " وفي بضع أحدكم صدقه... " اهـ. وقال في الاستقامة (٢/ ١٥٢): " وإذا عرف أن لذات الدنيا ونعيمها إنما هي متاع ووسيلة إلى لذات الآخرة، وكذلك خلقت فكل لذة أعانت على لذات الآخرة فهو بما أمر الله به ورسوله، ويثاب على تحصيل اللذة بما يثوب إليه منها من لذات الآخرة التي أعانت هذه عليها... " اهـ.

وقال في كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص ٣٧): " ومن كان إنما يفعل ما يُحبه الله ويرضاه ويقصد أن يستعين بما أبيح له على ما أمره الله فهو من أولئك " اهـ. وقال ابن القيم في إعلام الموقعين (٢/ ١٦٠): " والعبد إذا عزم على فعل أمر فعله أن يعلم أولاً هل هو طاعة أم لا؟ فإن لم يكن طاعة فلا يفعله إلا أن يكون مباحاً يستعين به على الطاعة، وحينئذ يصير طاعة... " اهـ.

وقال ابن حجر في فتح الباري (١٢/ ٢٨٨): " المباحات يؤجر عليها بالنية إذا صارت وسائل للمقاصد الواجبة أو المندوبة أو تكميلاً " اهـ.

وقال في فتح الباري (٩/ ٨٠٧): " طريقة النبي ﷺ الحنيفية السمحة، فيفطر ليتقوى على الصوم، وينام ليتقوى على

وجه العبادة كما يسعى بين الصفا والمروة، قال: إن فعله على هذا الوجه حرام منكر، يُستتاب فاعله، فإن تاب وإلا قتل.

ولو سئل عن كشف الرأس ولبس الإزار والرداء؛ أفتى بأن هذا جائز، فإذا قيل: إنه يفعله على وجه الإحرام، كما يُحرم الحاج؟ قال: إن هذا حرام منكر.

ولو سئل عن يقوم في الشمس؛ قال: هذا جائز. فإذا قيل: إنه يفعله على وجه العبادة؟ قال: هذا منكر. كما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً قائماً في الشمس. فقال: "من هذا؟ قالوا: هذا أبو إسرائيل يريد أن يقوم في الشمس، ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: مروه فليتكلم وليجلس وليستظل وليتم صومه" فهذا لو فعله لراحة أو

القيام، ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل" اهـ.

وانظر مجموع الفتاوى (١٠/٥٣٤-٥٣٥)، وقواعد معرفة البدع (ص ١٠٦، ١٦٢).

وقبل الانتقال من هذا التنبيه رأيت بعض الفضلاء يقول بوجود عبادات جائزة (مباحة) وليست واجبة ولا مستحبة مستدلاً بمثل قراءة ذلك الصحابي سورة الإخلاص في كل ركعة ووصال الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نهاهم. وهذه لا دلالة فيها؛ إذ قراءة سورة الإخلاص في كل ركعة مستحبة لمن كان دافعه مثل دافع ذلك الرجل، فإن قيل: لماذا إذن لم يقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيقال: ليس من شرط كون العمل مستحباً أن يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يكفي أن يفعله صحابي فيقره، فإن الإقرار من السنة، كما أن الفعل والقول من السنة - كما هو معلوم - وأما وصال الصحابة وإقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم فهذا فيه دليل على استحباب الوصال لمن أطاقه كما ثبت عند ابن أبي شيبه عن عبد الله بن الزبير بإسناد صحيح: أنه كان يواصل خمسة عشر يوماً وذهب إلى هذا من الصحابة أيضاً أخت أبي سعيد. راجع الفتح (٤/٢٤٠-٢٤١).

وهكذا يقال في كل ما يعترض به؛ إذ العبادات فعلاً لا تُخرج عن كونها واجبة أو مستحبة؛ لذا كانت محبوبة لله، مع مراعاة أن المستحبات ليست على درجة واحدة، فإن كثيراً ممن يعترض بمثل هذه النصوص لا يستحضر كون المستحبات على درجات فيصف المفضول بأنه مباح والفاضل بأنه مستحب، ثم بعد ذلك يدعي أن هذا من جملة المباحات الجائزة التي لا يتعبد بها، والواقع أنها من جملة العبادات المفضولة فتنبه.

ثم على هذا القول يصح للمبتدع أن يحدث ما شاء زاعماً أنه لا يتعبد الله بها؛ لأنها جائزة غير مستحبة، فللمحتفل بمولد النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول: أنا لا أتعبد الله به، بل هو من باب المباحات الجائزة لا العبادات، والرد على هؤلاء جميعاً أن يقال: كل ما يُفعل ويبتغي صاحبه من ورائه الأجر فهو عبادة شاء أم أبى، فيكون الأصل في فعله المنع والحظر إلا بدليل والله أعلم.

ثم هذا المباح المراد اتخاذه وسيلة أو عوناً على الطاعة لا بد أن يضبط بضابط وهو هل كان المقتضي لفعله موجوداً في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمانع منتفياً أم لا؟ كما سيأتي تفصيله في الكلام على وسائل الدعوة: هل هي توفيقية؟

غرض مباح لم ينه عنه؛ لكن لما فعله على وجه العبادة نُهي عنه.

وكذلك لو دخل الرجل إلى بيته من خلف البيت لم يحرم عليه ذلك، ولكن إذا فعل ذلك على أنه عبادة كما كانوا يفعلونه في الجاهلية كان أحدهم إذا أحرم لم يدخل تحت سقف، فنهوا عن ذلك كما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]. فبين سبحانه أن هذا ليس ببر، وإن لم يكن حراماً، فمن فعله على وجه البر والتقرب إلى الله كان عاصياً مذموماً مبتدعاً والبدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن العاصي يعلم أنه عاصٍ فيتوب، والمبتدع يحسب أن الذي يفعله طاعة فلا يتوب.

ولهذا من حضر السماع للعب واللهو لا يعده من صالح عمله، ولا يرجو به الثواب، وأما من فعله على أنه طريق إلى الله تعالى فإنه يتخذه ديناً، وإذا نُهي عنه كان كمن نُهي عن دينه، ورأى أنه قد انقطع عن الله وحرم نصيبه من الله تعالى إذا تركه؛ فهؤلاء ضلّال باتفاق علماء المسلمين، ولا يقول أحد من أئمة المسلمين: إن اتخذ هذا ديناً وطريقاً إلى الله تعالى أمر مباح؛ بل من جعل هذا ديناً وطريقاً إلى الله تعالى فهو ضال، مفتر، مخالف لإجماع المسلمين، ومن نظر إلى ظاهر العمل وتكلم عليه، ولم ينظر إلى فعل العامل ونيته؛ كان جاهلاً متكلماً في الدين بلا علم.

فالسؤال عن مثل هذا أن يقال: هل ما يفعله هؤلاء طريق وقربة وطاعة لله تعالى يُحبها الله ورسوله أم لا؟ وهل يثابون على ذلك أم لا؟ وإذا لم يكن هذا قربة وطاعة وعبادة لله، ففعلوه على أنه قربة وطاعة وعبادة وطريق إلى الله تعالى، هل يحل لهم هذا الاعتقاد؟ وهل العمل على هذا الوجه؟

وإذا كان السؤال على هذا الوجه لم يكن للعالم المتبع للرسول ﷺ أن يقول: إن هذا من القرب والطاعات، وأنه من أنواع العبادات، وأنه من سبيل الله تعالى وطريقه الذي يدعو به هؤلاء إليه، ولا أنه ممّا أمر الله تعالى به عباده: لا أمر إيجاب ولا أمر استحباب، وما لم يكن من الواجبات

والمستحبات فليس هو محمودًا ولا حسنة ولا طاعة ولا عبادة باتفاق المسلمين.

فمن فعل ما ليس بواجب ولا مستحب على أنه من جنس الواجب أو المستحب فهو ضال مبتدع، وفعله على هذا الوجه حرام بلا ريب، لاسيما كثير من هؤلاء الذين يتخذون هذا السماع المحدث طريقًا يقدمونه على سماع القرآن وجدًا وذوقًا. وربما قدموه عليه اعتقادًا، فتجدهم يسمعون القرآن بقلوب لاهية، وألسن لاغية، وحركات مضطربة، وأصوات لا تقبل عليه قلوبهم، ولا ترتاح إليه نفوسهم، فإذا سمعوا "المكاء" و"التصدية" أصغت القلوب، واتصل المحبوب بالمحب، وخشعت الأصوات، وسكنت الحركات، فلا سعلة ولا عطاس ولا لفظ ولا صياح، وإن قرءوا شيئًا من القرآن أو سمعوه كان على وجه التكلف والسخره، كما لا يسمع الإنسان ما لا حاجة له به (١)، ولا فائدة له فيه، حتى إذا ما سمعوا مزمار الشيطان أحبوا ذلك، وأقبلوا عليه، وعكفت أرواحهم عليه.

فهؤلاء جند الشيطان، وأعداء الرحمن، وهم يظنون أنهم من أولياء الله المتقين، وحالهم أشبه بحال أعداء الله المنافقين؛ فإن المؤمن يحب ما أحبه الله تعالى، ويبغض ما أبغضه الله تعالى ويوالي أولياء الله، ويعادي أعداء الله، وهؤلاء يحبون ما أبغض الله، ويبغضون ما أحب الله، ويوالون أعداء الله، ويعادون أولياءه؛ ولهذا يحصل لهم تنزلات شيطانية بحسب ما فعلوه من مزامير الشيطان، وكلما بعدوا عن الله ورسوله وطريق المؤمنين قربوا من أعداء الله ورسوله وجند الشيطان. فيهم من يطير في الهواء والشيطان طائر به، ومنهم من يصرع الحاضرين وشياطينه تصرعهم، وفيهم من يحضر طعامًا وإدامًا، ويملاً الإبريق من الهواء والشياطين فعلت ذلك؛ فيحسب الجاهلون أن هذه من كرامات أولياء الله المتقين، وإنها هي من جنس أحوال الكهنة والسحرة وأمثالهم من الشياطين،

(١) يا إخواني دعاء الدين والملة، لماذا لا نأخذ على أنفسنا دعوة الناس أجمعين كبيرهم وصغيرهم، ذكرهم وأنثاهم، مؤمنهم وفاسقهم إلى ما كان عليه سلف الأمة من الطرق الشرعية؟ فإنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، هذه حقيقة يجب علينا أن نعتقدها بقلوبنا ونسعى إلى تحقيقها في أنفسنا وما استطعنا من عباد ربنا، فاللهم عونًا وتوفيقًا وثباتًا.

ومن يُميز بين الأحوال الرحمانية والنفسانية والشيطانية لا يشتبه عليه الحق بالباطل.
وقد بسطنا الكلام على "مسألة السماع" وذكرنا كلام المشائخ فيه في غير هذا الموضع وبالله
التوفيق، والله أعلم.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

إلى هنا انتهى جواب الإمام ابن تيمية - رحمه الله -.

الناس في وسائل الدعوة على طرفي نقيض:

الطرف الأول: صرح بأن وسائل الدعوة توقيفية مطلقاً، فكل ما لم يتخذه رسول الله ﷺ وسيلة من وسائل الدعوة وإن كان غير ممكن له فهو من جملة البدع، حتى إن بعضهم حرم الأشرطة وإلقاء الدروس والوعظ عبر مكبرات الصوت.

أما الطرف الثاني: صرح بأن كل وسيلة يُمكننا اتّخاذها وفعلها فيجوز لنا اتّخاذها، بل ويستحب وإن كان رسول الله ﷺ أو أصحابه أمكنهم اتّخاذها وفعلها ولم يفعلوا.

ولا شك أن هؤلاء توسعوا توسعاً غير مُرضٍ كما أن الطرف الأول ضيقوا تضييقاً غير مُرضٍ بل الوسط في هذا وهو الصراط المستقيم - إن شاء الله - وبه يحصل فصل الخطاب: ما قرره أبو العباس بن تيمية إذ قال: **"والضابط في هذا - والله أعلم - أن يقال: إن الناس لا يُحدثون شيئاً إلاّ لأنهم يرونه مصلحة؛ إذ لو اعتقدوه مفسدة لم يُحدثوه، فإنه لا يدعو إليه عقل ولا دين، فما رآه الناس مصلحة نظر في السبب المحجوج إليه، فإن كان السبب المحجوج أمراً حدث بعد النبي ﷺ من غير تفريط منا فهنا قد يجوز إحداث ما تدعو الحاجة إليه، وكذلك إن كان المقتضي لفعله قائماً على عهد رسول الله ﷺ لكن تركه النبي ﷺ لمعارض زال بموته.**

وأما ما لم يحدث سبب يحوج إليه، أو كان السبب المحجوج إليه بعض ذنوب العباد؛ فهنا لا يجوز الإحداث، فكل أمر يكون المقتضي لفعله على عهد رسول الله ﷺ موجوداً لو كان مصلحة ولم يفعل يعلم أنه ليس بمصلحة، وأما ما حدث المقتضي له بعد موته من غير معصية الخلق فقد يكون مصلحة.

ثمّ هنا للفقهاء طريقتان:

أحدهما: أن ذلك يفعل ما لم يئنه عنه، وهذا قول القائلين بالمصالح المرسلة.

والثاني: أن ذلك لا يفعل إن لم يؤمر به، وهو قول من لا يرى إثبات الأحكام بالمصالح المرسلة

وهؤلاء ضربان:

منهم من لا يثبت الحكم، إن لم يدخل في لفظ كلام الشارع، أو فعله، أو إقراره، وهم نفاة

القياس.

ومنهم من يثبته بلفظ الشارع أو بمعناه وهم القياسيون.

فأما ما كان مقتضى لفعله موجوداً لو كان مصلحة، وهو مع هذا لم يشرعه، فوضعه تغيير

لدين الله، وإنما دخل فيه من نسب إلى تغيير الدين من الملوك والعلماء والعباد، أو من زل منهم

باجتهاد، كما روي عن النبي ﷺ وغير واحد من الصحابة: "إن أخوف ما أخاف ما عليكم زلة عالم

وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون".

فمثال هذا القسم الأذان في العيدين، فإن هذا لما أحدثه بعض الأمراء، أنكره المسلمون لأنه

بدعة، فلو لم يكن كونه بدعة دليلاً على كراهيته، وإلا لقليل: هذا ذكر الله، ودعاء للخلق إلى عبادة

الله، فيدخل في العمومات، كقوله: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]. وقوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [فصلت: ٣٣].

ثم قال: ومثال ما حدثت الحاجة إليه من البدع بتفريط من الناس: تقديم الخطبة على الصلاة

في العيدين، فإنه لما فعله بعض الأمراء أنكره المسلمون؛ لأنه بدعة واعتذر من أحدثه بأن الناس قد

صاروا ينفضون قبل سماع الخطبة، وكانوا على عهد رسول الله ﷺ لا ينفضون حتى يسمعوا أو

أكثرهم، فيقال له: سبب هذا تفريطك، فإن النبي ﷺ كان يخطبهم خطبة يقصد بها نفعهم وتبليغهم

وهدايتهم، وأنت قصدك إقامة رياستك، وإن قصدت صلاح دينهم، فلا تعلمهم ما ينفعهم، فهذه

المعصية منك لا تبيح لك إحداث معصية أخرى، بل الطريق في ذلك أن تتوب إلى الله وتتبع سنة

نبيه وقد استقام الأمر، وإن لم يستقم فلا يسألك الله إلا عن عملك لا عن عملهم، وهذان المعنيان من فهمهما أنحل عنه كثير من شبه البدع الحادثة" اهـ.^(١)

لاحظ -أخا الإيمان- أن ابن تيمية ذكر أن ذنوب العباد ليست سبباً مبرراً لإحداث المصلحة "الوسيلة الدعوية" بل في هذه الحالة يؤمر الناس بترك الذنوب والمعاصي.

توجيهات وإرشادات

إليك- أيها الداعية المبارك- هذه الإرشادات والتوجيهات:

١- ليس معنى كون جماعة التبليغ مخالفة للمنهج الشرعي أننا لا ندعو بالأسلوب الحسن والأخلاق العالية مع التودد والرحمة وإذلال النفس للمسلمين أجمعين، لاسيما المدعويين -في حدود الشرع- كما قال الرب ﷻ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]. وليس معنى كونهم مخالفة للمنهج الشرعي أننا لا ندعو العصاة والفساق من المسلمين بل والكافرين، وليس أيضاً معنى كونهم مخالفة للمنهج الشرعي أننا لا نسافر للدعوة إلى الله، كلاً؛ بل نسافر لكن إذا كنا طلاب علم أو في صحبة طلاب علم؛ إذ هذه الأمور كلها هي دعوة رسول الله والسلف من بعده قبل أن تُخلق جماعة التبليغ وتوجد على وجه البسيطة، فكل ما هو حسن عندهم مرضي لله موجود في دعوة رسول الله ﷺ وأتباعه.

لذا أدعو من هم منتسبون لجماعة التبليغ أن يبادروا بترك هذه الجماعة ولينتموا إلى من عقيدتهم ومنهجهم على طريقة السلف الماضين والعلماء الراسخين، مع استمرار حرصهم على دعوة الناس جميعاً لكن بالضوابط الشرعية مع تعلم العقيدة والحرص عليها.

٢- لا يصح لنا ألبتة أن نعتني بجانب من جوانب الدين مع ترك الجوانب الأخرى المتحتمة

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٥٩٨) علماً أن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- هو المرشد إلى هذه القاعدة النفيسة من كلام ابن تيمية في التفريق بين الوسائل الدعوية المشروعة والوسائل الدعوية الممنوعة. كما في بعض مسجلاته الصوتية.

علينا ديناً، فلا يصح للمسلم أن يعكف عمره كله على طلب العلم دون الدعوة إلى الله بتعليمه في حلقات العلم ونشره بين عوام المسلمين، والرد على المخالفين الضالين باللسان والبنان، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]. وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّائِعُونَ. إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠]. وإن زينة الأيام والشامة بين الأنام: هم علماءنا الأبرار، أهل الفتوى والرسوخ في العلم، الذين جمعوا بين كل خير من علم وتعليم وعمل، قد بذلوا أعمارهم وطاقتهم قربة لله في إجابة السائلين، وإرشاد المسترشدين عبر الهاتف والإذاعة والعمل وهم على ذلك سنون.

وكم مصيبة تحل بالمسلمين يُجلبها الله بفتوى أحدهم، أو طائفة منهم، فما أكثر فتاواهم الهادية للأمة أفراداً وجماعات!!

وإياك -أيها الموفق-: أن تدهن أهل البدع لأجل مصلحة دنيوية كتكثير سواد المحبين والأتباع ونحو ذلك؛ بل لتكن البغية رضا الله وحده دون أحد سواه، وتذكر حياة القبور، وتطير الصحف يوم النشور.

ولتعلم أن أهل البدع لن يرضوا عنك إلا إذا اتبعتهم أو سكت عن بدعتهم.

قال الشوكاني -رحمه الله-: "وفي هذه الآية من الوعيد الشديد الذي ترجف له القلوب وتتصدع منه الأفئدة ما يوجب على أهل العلم الحاملين لحجج الله سبحانه، والقائمين ببيان شرائعه ترك الدهان لأهل البدع، المتمذهبين بمذاهب السوء التاركين للعمل بالكتاب والسنة، المؤثرين لمحض الرأي عليهما، فإن غالب هؤلاء -وإن أظهر قبولاً وأبان من أخلاقه لينا- لا يرضيه إلا اتباع بدعته والدخول في مداخله، والوقوع في حباله، فإن فعل العالم ذلك بعد أن علّمه الله من العلم ما يستفيد به أن هدى الله هو ما في كتابه وسنة رسوله، لا ما هم عليه من تلك البدع التي هي

ضلالة مخضة وجهالة بينة، ورأي منهار، وتقليد على شفا جرف هار؛ فهو إذ ذاك ما له من الله من ولي ولا نصير، ومن كان كذلك فهو مخذول لا محالة، وهالك بلا شك ولا شبهة" اهـ. (١).

وأيضاً لا يصح للمسلم أن يجعل عمره كله في الدعوة إلى الله دون تعلم العلم الشرعي الواجب عليه عيناً، ودون مراجعة أهل العلم، والرجوع إلى قولهم ليبينوا له حكم الله في عبادته خاصة وفي دعوته للناس عامة.

٣- من الخطأ البين أن بعض الدعاة إلى الله يبتكر وسائل دعوية أو يأخذها من غيره سواء كانوا من الداخل أو الخارج، ثم يستخدمها في دعوته، فإذا أنكرت عليه ذهب بعد ذلك إلى العلماء طارقاً أبوابهم باحثاً له من بينهم من يفتي بجوازها- هذا إن كان متجرداً ومبتغياً رضا الله، وإلا فإن بعضهم يأبى ويستقل برأيه، نسأل الله السلامة، وكان المتحتم في حقه ألا يتخذ هذه الوسيلة إلا بعد استفتائهم؛ لأنهم هم العالمون بالله وبكتابه وسنة رسوله؛ ولأن الله قال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

٤- يا دعاة الخير ومحبة هداية الغير، هذه سبيل رسول الله ﷺ وأصحابه أمامكم فاسلكوها توصلكم إلى مرضاة ربكم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]. وقال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وإن من أبرز معالم دعوة رسول الله ﷺ وأصحابه: تقرير التوحيد وتوكيده، والتحذير من الشرك ووسائله، ومُحاربة البدع والابتدعة؛ لأنهم يهدمون الدين وينقضون عراه عروة عروة باسم الدين، فلا يفتن الناس إليهم، بل يتبعوهم، والشرك والبدعة قرينان، والمشرك والمبتدع مجتمعون على بغض أهل الحق.

(١) فتح القدير عند تفسير قوله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾.

قال ابن القيم "إغاثة اللهفان" (١/٦٢-٧٦): فلا تَجِدُ مشرِكًا قط إلا وهو متنقص لله سبحانه، وإن زعم أنه يعظمه بذلك، كما أنك لا تَجِدُ مبتدعًا إلا وهو متنقص للرسول -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- وإن زعم أنه معظم له بتلك البدعة، فإنه يزعم أنها خير من السنة وأولى بالصواب، أو يزعم أنها هي السنة، إن كان جاهلاً مقلداً، وإن كان مستبصراً في بدعته فهو مشاق لله ورسوله، فالمتنقصون المنقصون عند الله تعالى ورسوله وأوليائه: هم أهل الشرك والبدعة...

ثُمَّ قَالَ: ولهذا كانت البدعة قرينة الشرك في كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]. فالإثم والبغي قرينان، والشرك والبدعة قرينان...

ثُمَّ قَالَ: وهكذا المشرك إنما ينقم على الموحد تجريده للتوحيد، وأنه لا يشوبه بالإشراك. وهكذا المبتدع: إنما ينقم على السنني تجريده متابعة الرسول، وأنه لم يشبها بآراء الرجال، ولا بشيء مما خالفها، فصبر الموحد المتبع للرسول على ما ينقمه عليه أهل الشرك والبدعة خير له وأنفع، وأسهل عليه من صبره على ما ينقمه الله ورسوله عليه من موافقة أهل الشرك والبدعة.

إذا لم يكن بد من الصبر فاصطبر على الحق ذاك الصبر تحمد عقباه اهـ.

ولا يفهم جهول بله فهوم أن الإمام ابن القيم -رحمه الله- بهذه يكفر أهل البدع.

فمتى يفيق من تغرر بهذه الجماعة فيقدمون الكتاب والسنة الصحيحة بفهم السلف الصالح على عواطفهم التي يستميلهم بها التبليغيون الجهال، ألم يأن لهم البراءة من هذه الجماعة وأهلها إلى الكتاب والسنة بفهم سلفنا الصالح وعلماؤنا السائرين على طريقتهم؟!

وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتبه/ عبد العزيز بن ريس الريس ٧/٣/١٤٢٣هـ.

رسالتان للشيخ الناصح المجاهد سعد بن عبد الرحمن الحصين - حفظه الله -^(١)

الرسالة الأولى:

من سعد الحصين:

إلى: أخي في الله الشيخ / راشد بن حمد بن راشد المري - وفقه الله لطاعته وبلغه رضاه،
ووظفني وإياه في الدعوة إلى الله على بصيرة -.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد:

فقد وجدت بين أوراقِي التي وصلت أثناء غيابي عن الأردن بسبب أزمة الخليج - لا أعادها
الله على المسلمين - رسالة كريمة منكم بتاريخ: ١٩-٩-١٤١١ هـ. حول جماعة التبليغ، وآسف
لتأخر الرد عليها، وأشكر الله ثم أشكركم على اهتمامكم بصحة المنهج في الدعوة إلى الله:

١ - تعلمون أن الدعوة إلى الله عبادة، والعبادة لا تكون إلا وفق شرع الله في كتابه أو سنة

رسوله ﷺ.

٢ - الدعوة على منهج التبليغ - وقد عايشتها ثمان سنوات - ليست موافقة لشرع الله في
أسلوبها ولا محتواها، فإن ترتيب الخروج "ثلاثة أيام وأربعين يوماً وأربعة أشهر، وتحديد موضوع
الدعوة: بالكلام في "الصفات الست" ثم قراءة السور العشر القصار بعد صلاة كل فجر،
والتعريف بالجماعة بعد صلاة كل ظهر، والدعوة إلى الجولة بعد صلاة كل عصر، والبيان في
تفصيل الصفات الست بعد صلاة كل مغرب، والقراءة في حياة الصحابة للكاندهلوي بعد صلاة
كل عشاء، وتوزيع الجماعة بين جالس للذكر وقارئ لرياض الصالحين ودليل ومتكلم في الجولة،
وتحديد الكلمات في الجولة والإعلان، كل هذا وأمثاله تحديد وإلزام والتزام لم يجيء به شرع الله ولم

(١) الرسالتان موجودتان عندي بخط يده.

يعرف عن السلف الصالح. هذا في الأسلوب.

وفي المحتوى: تُخالف جماعة التبليغ أمر الله لجميع رسله من نوح إلى مُحَمَّد -عليهم الصلاة والسلام-: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اْعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].
 ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. أفراد
 الله وتوحيده بالعبودية: أهم وأول قضية في محتوي الدعوة لكل رسول، قبل الصلاة والزكاة والآداب والأخلاق والحاكمية.. وجماعة التبليغ -مثل الجماعات الإسلامية المنظمة الأخرى- لا تضع هذه القضية في أولوياتها، بل لا تعيرها أي اهتمام، بل هي لا تُعَرِّف ولا تُعَرِّف بالكلمة الطيبة: لا إله إلا الله بمعناها الصحيح: أن لا معبود بحق إلا الله، وإنما: إخراج اليقين الفاسد من القلب على الأشياء، وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله بأنه الخالق الرازق المحيي المميت، ولو كان هذا هو معناها لما ردها مشركو قريش، وقد قال الله فيهم: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩].

٣- الخروج منهج التبليغ في الدعوة عن شرع الله لجميع رسله، وعن سنة رسول الله ﷺ، لم تسع الجماعة في إصلاح عقيدة جيرانها من عباد أوثان القبور في منطقة أولياء -نظام الدين- في دلهي، وهي تقيم بينهم منذ ستين سنة ملاصقة لأوثانهم، بل لم تُحاول إصلاح عقيدة أتباعها وجميع مشائخها من المتصوفة، وتظهر روائح فساد المعتقد من بياناتهم جميعاً لأنها تقوم على القصص والرؤى والخرافات لا على الدليل الصحيح من الكتاب والسنة وفهم علماء الأمة الأول.

وليس أظهر في الأدلة على ذلك من وجود القبور في مسجدهم الرئيسي في (دلهي)، وبيجوار مسجدهم الرئيسي في (رائي وند) بالباكستان، وفي مسجدهم الرئيسي في السودان.

٤- تعدد الجماعات الإسلامية هي في ذاته -يا أخي- خروج عن جماعة المسلمين الواحدة، بتميزها باسم، أو أمير، أو مركز، وأهم من كل ذلك: بمنهج بشري، وبمثل هذا التجمع تفرق

المسلمون كما تفرق من قبلهم شيعاً وأحزاباً: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣].
﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

٥- كون جماعة التبليغ أكثر الجماعات "تبعية" - كما ذكرتم - لا يعطيها أي ميزة شرعية، بل إن كثرة "التبعية" دليل غالب على الضلال الذي لا تعارضه النفس ولا يعارضه الشيطان: ﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرٌ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]، ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].. ولا يصح اتّخاذ العدد دليلاً على أي حال، فإن النبي يأتي يوم القيامة ومعه الرجل والرجلان، ويأتي النبي وليس معه أحد.. وأول أولو العزم من الرسل نوح -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]. بعد أن لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً..

٦- والنشاط في الحركة والدعوة ليس دليلاً على صحة المنهج، فأهل الضلال عموماً أنشط من أهل الحق؛ لأن النفس الأمارة بالسوء -إلا ما رحم ربي- والشيطان يزينان الباطل ويثبطان عن الحق.. وقد قال رسول الله ﷺ: "وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة". وهي الطائفة التي لا تزال على الحق منصوره لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم -وإن كثروا-.

٧- أما أن لهم فضلاً في هداية بعض الناس: فلا شك أن المنهج الفاسد يلقي أقل معارضة من النفس والشيطان.. وعلى هذا يلقي المتصوفة والشيعية قبولاً أكثر من أهل السنة.. وإذا ضمنت النفس والشيطان فساد المعتقد والمنهج فلا أهمية لصلاح غيره.. ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٤].. ولقد لمست خلال اشتراكي مع الجماعة كثرة التساهل في المعتقد والتشدد فيما دونه، خلاف شرع الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. ويكفي النفس والشيطان أن يطرأ اللين في المعتقد على جزيرة

العرب "الملاذ الأخير" في أي مقابل.

ثم إن نشاط جماعة التبليغ - وغيرها من الفرق والأحزاب في العقدين الماضيين - نتيجة لا سبب لما يُسمى الصحوة، وقد قضت أربعين سنة في الركود والخمول ثم نشطت مع الجميع، والفضل لله وحده في الأتجاه الديني الحاضر وإن ادعاه كل لحزبه.

٨- أما إن بعض العلماء في السعودية أو غيرها قد أيد الجماعة، فلا يعرف عالم يُعتد به خرج مع الجماعة ثم زكاه، وإنما يأخذ بعض العلماء بتزكية بعض أفرادها لها ومبالغتهم في ذكر إنجازها وستر عيوبها فيصدر منهم تأييد لها.. وقد حذر منها عدد أكبر من العلماء، منهم المشايخ: حمود التويجري، وعبد الرزاق عفيفي، وصالح اللحيدان، وعبد الله الغديان، وصالح الفوزان، من هيئة كبار العلماء، وغيرهم من طلاب العلم الذين رافقوهم شهوياً وأعواماً وانقطعوا لدعوتهم حتى أمن مشايخهم منهم، فأظهروا الجانب الخفي من دعوتهم وبدعهم، فأعلنوا مبايعتهم على التصوف، وأطلعوا الناس على النصوص الشركية والخرافية والبدعية في مناهجهم وبخاصة "تبليغي نصاب".

وقد كنت وقعت في تأييدهم وتزكيتهم لدى العلماء ودافعت عنهم، حتى اطلعت على ما خفي عليّ من فساد الجماعة، هداًنا الله وإياهم.
وفقكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سعد الحصين

١٠/١١/١٤١١هـ

الرسالة الثانية:

من: سعد الحصين.

إلى: الأخ في الإسلام الشيخ / إنعام الحسن - هداانا الله وإياه إلى اتباع السُّنَّة، وأعادنا وإياه

من البدعة-.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد:

فقد أزعجنا كثيرًا أن أكد لنا بعض الإخوة الملتزمين بالدعوة المضحين من أجلها أنكم بايعتموهم وعددًا من الإخوة جماعة الدعوة في الجزيرة العربية وآلاف من الأعاجم على أربع طرق صوفية.

وقد أثرت شائعات كثيرة -من قبل- حول هذا الموضوع، وأن لأمير الدعوة وقدمائها من العجم وجهين: أحدهما: يظهرون به لأهل نجد والملتزمين بالسنة.. والآخر يظهرون به لمن ألقوا البدعة من الأعاجم وأهل الأمصار.. وغلبننا حسن الظن بكم ما دام عنوانكم: "إن نجاحنا وفلاحنا باتباع أمر الله والسير على طريق رسوله ﷺ" طريق رسول الله ﷺ واحدة.. وهذه أربع طرق، فأبي واحدة منها تسير على طريق رسول الله؟... ولماذا نحتضن الثلاث الخارجة عن طريقه، وإذا كانت كلها على طريقه فلماذا تعددت؟

طريق رسول الله ﷺ الذي رسمه بكلامه الصريح الواضح تقوم على كتاب الله وسنة رسوله وسنة الخلفاء الراشدين من بعده.. "عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة" اسألوا أنفسكم واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون، بعدكم قرن من موت النبي ﷺ أحدثت الصوفية؟ وإلى أي مدى من الانحراف عن السُّنَّة ثمَّ الشرك والإلحاد أوصلت المسلمين، ونقلتهم من الحنيفية السمحة إلى الطقوس والطلاسم المعقدة

والتوجه إلى المخلوق بادعاء الولاية بدلاً من الاتجاه إلى الخالق الذي لا يرضى لعباده الواسطة في عبادته.. ولو قالوا: "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى" وما هي العبادة إن لم تكن الطاعة كما فسر بها النبي ﷺ قول الله ﷻ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]؟

وقد رأينا كيف دب هذا الانحراف إلى بعض إخواننا من الجماعة الذين لا نعرف أنهم وقعوا في بدعة البيعة، فلا يتزوج أحدهم أو يبني بيتاً أو يغير وظيفته إلا بعد موافقة أمير الجماعة. ثم لماذا يُخصّ العرب برياض الصالحين الذي تلقته الأمة بالقبول واعتبرته أصح الكتب في موضوعه.. ويُخصّ العجم بتبليغي نصاب المليء بالخرافات والأحاديث الضعيفة، والذي يعلم جماعة الدعوة من العجم الشرك الأكبر بطلب الشفاعة من النبي ﷺ دون الله..

والله ورسوله قد بينا بياناً واضحاً أن الشفاعة بيد الله وحده يعطيها من يشاء لمن يشاء يوم القيامة، وأعلى الشفعاء مرتبة وأعظمهم شفاعة رسول الله ﷺ لكنه لا يشفع إلا بإذن الله، ولا يشفع في كل من شفع لهم كما يتبين من الآيات الكثيرة وأقربها: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠].

ومن الأحاديث الكثيرة وأقربها: "أنه يرى فريقاً من أمته يذادون عن الحوض فيقول: يا ربّي أمّتي أمّتي". فيقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فيقول: "سحقاً سحقاً" أرجو الله ألا تكونوا وألا نكون منهم.

ولكن الصوفية حدث في الدين وشرع فيه لم يأذن به الله.. والله ﷻ أكمل دينه وأي حدث فيه اتهام له بعدم الكمال، ورسول الله ﷺ قد سن لنا من الذكر ووعدنا من الأجر ما يغنيننا عن دروشة الصوفية وانفعالاتها وتشنجاتها، ولو كان فيها خير لجاء به الرسول، فليس من خير إلا حصّ عليه، ولبادر إلى عمله الصحابة ومتابعي السنة في القرون المفضلة.

وخير لنا أن نثبت على ما ثبتوا عليه حتى لقوا الله راضياً عنهم بدلاً من أن نتبع العوام

وأشباههم، وأغلب المتصوفة منهم، وبدلاً من متابعة المنحرفين عن منهج الرسول القدوة بعد أن دخلت الفلسفة اليونانية فأفسدت معتقدات علماء الصوفية، نستغفر الله من كل خطأ أو زلل، وخاصة بغضنا وتناولنا على من حذرنا من الوجه الخفي لبعض القائمين على الدعوة قبل أن تظهر لنا الحقيقة المرة.. ونعوذ بالله من التعصب للباطل.

ونجد أنفسنا بين أمرين لا ثالث لهما:

الأول: إزالة المنكر من منهج الدعوة وخاصة ما أحدث بعد مُحَمَّد إِيَّاس -رحمه الله- وخاصة تبليغي نصاب، وعدم تعريض الدعاة من العرب والعجم لبدعة الصوفية، وتوبة الشيخ القاضي عبد القادر من شركه المتمثل في كتابه التمام المملوءة بالطلاسم أو إبعاده عن المركز في رأيي وند.. غفر الله لنا وللجميع.

الثاني: أن نُحاول -بعون الله وحوله وقوته- عزل الدعوة عن مركزها في القارة الهندية، وبيان ضلال الضالين من القائمين عليها والتحذير منهم رداً على ما فعلناه من قبل من الذب عنهم عندما كنا على جهل بالخفي من أحوالهم.. ونبراً إلى الله من كل بدعة وصاحبها. هذا ما ندين الله به وسيسألنا الله عنه.. ونرجوه مخلصين أن يخفف عنا الحساب والعقاب.

أما علاقتنا بالدعوة فستكون -بحول الله- أقوى ممَّا كانت بعد تنقيتها من البدعة والجهل، وليست ملكاً لأحد، ونرجو الله لها مستقبلاً أجود من ماضيها بعد أن كان الدخيل فيها يصد عنها أكثرية طلاب العلم الشرعي الحريصين على صحة العقيدة وسلامة المنهج.

ونحن لا نطلب شططاً.. لا نطلب إلاَّ العودة بالدعوة إلى منهج النَّبِيِّ ﷺ بلا صوفية ولا شرك ولا خرافة ولا كتاب حياة الصحابة المليء بالأحاديث الضعيفة التي لا يجوز وضعها بين يدي العوام الذين يتقبلونها بلا تمحيص عجزاً عنه وثقة فيمن وضعها بين أيديهم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب وخطأ وزلل.

وأرجو الله أن يعيدنا ويعيد دعوتنا من شياطين الإنس والجن، وأن يعيننا على إدراك الحق والثبات عليه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سعد الحصين

الملحق الديني بالأردن

١٤٠٤ / ٩ / ٩ هـ.